

الفصل الثاني

محمد ﷺ الزوج

محمد ﷺ الزوج

تمهيد

اختلف في عدد أزواج رسول الله ﷺ، ولكن الثابت أن كتب المصادر أجمعت أنه ﷺ تزوج ثلاثة عشر امرأة، وجمع بين إحدى عشرة وتوفي عن تسع هن: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأم سلمة بنت أبي أمية ابن المغيرة، وسودة بنت زمعه بن قيس، وزينب بنت جحش بن رثاب، وميمونة بنت الحارث بن حزن، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وصفية بنت حيى بن أخطب. وأول من تزوجها رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد ولم يجمع معها زوجه أخرى، وهى أم أولاده جميعا، عدا إبراهيم بن مارية القبطية وهى سرية رسول الله ﷺ وريحانة سريته أيضا.

وكان رسول الله ﷺ نعم الزوج، فهو القدوة للبشرية كلها فى كل شىء. وقد روت السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ (كان خلقه القرآن). وذلك عندما سئلت عن خلقه ﷺ. كما روى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ (كان أحسن الناس خلقاً)^(١).

كذلك سئلت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن خلق رسول الله

(١) انظر: طبقات ابن سعد جـ ١ القسم الثانى ص ١٢٦، وقد ذكرول ديورانت رسول الله صلى ﷺ بقوله: (ولدت آمنة أعظم شخصية فى تاريخ العصور الوسطى) انظر قصة الحضارة - عصر الإيمان مج ٢ جـ ٢ ص ٢٠٠. ترجمة محمد بدران.

ﷺ في بيته فقالت رضى الله عنها (كان أحسن الناس خلقا لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزى السيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح).

كذلك قالت رضى الله عنها (كان ألين الناس وأكرم الناس وكان رجلا من رجالكم الا أنه كان ضحاكا بساما)^(١).

كما سئلت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته، فقالت رضى الله عنها (كان في مهنة أهله، وإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة)^(٢).

كما روى محب الدين الطبري^(٣) أن عائشة رضى الله عنها حينما سئلت عن عمل رسول الله في بيته قالت: (كان صلى عليه وسلم يخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم، ويقم البيت، ويعين الخادم في خدمته).

كما ذكر حديث عن عروة عن أبيه قال: (قيل لعائشة، ماذا كان النبي ﷺ يصنع في بيته، قالت: ما يصنع أحدكم يرفع ثوبه «وقيل يخطط ثوبه» ويخفف نعله ويعمل ما تعمل الرجال في بيوتهم).

كما ذكر عنها أيضا قولها حينما سئلت عما كان ﷺ يصنع في أهله قالت: (كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)، كذلك ورد عنه ﷺ قوله: (خدمتك زوجتك صدقة)^(٤). كما ورد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت (كان يرفع الثوب. ويقم البيت، ويخفف النعل، ويطحن عن خادمه إذا أعيا)^(٥).

(١) المصدر السابق لابن سعد ص ١٢٧.

(٢) المصدر السابق لابن سعد.

(٣) انظر السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين: لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري ص ٢٢. القاهرة، دار الحديث، ١٩٨٩.

(٤) نفس المصدر السابق لابن سعد ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٥) ابن الأثير أسد الغابة مج ١ ص ٣٦.

كذلك ذكر عن أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها حديث رواه عروة ابن الزبير أنها قالت: (ماخير رسول الله ﷺ في أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها)^(١).

كما روى أيضا عن عروة عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت: (ماضرب رسول الله ﷺ خادما له ولا امرأة ولاضرب بيده شيئا قط إلا أن يحاصر في سبيل الله)^(٢).

كما ذكر عن أبي سعيد الخدري أنه قال (كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها)^(٣). وكان رسول الله متواضعا في شرفه وعلو محله. كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيده في حاجتها فلا يفارقها حتى هي التي تنصرف، وما دعاه أحد إلا قال: (ليليك)^(٤).

وعن ابن عباس رضی الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان حين ينسلخ يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة)^(٥).

كذلك روى أنس بن مالك عن خلق رسول الله ﷺ قال: (لم يكن

(١) أخرجه البخارى في كتاب المناقب: باب صفة النبي ﷺ. صحيح ومسلم كتاب الفضائل، باب مبادئه للأثم واختياره من المباح أسهله، وانظر أيضا: اللؤلؤ والمرجان. كتاب الفضائل.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٢٨ - ١٢٩ ابن الأثير: أسد الغابة مج ١ ص ٣٦.

(٣) البخارى: كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ مسلم: كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه، وانظر أيضا: ابن سعد نفس المصدر السابق ص ١٣٠.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة مج ١ ص ٣٥.

(٥) أخرجه البخارى في كتاب بدء الوحي، باب حدثنا عبدان، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، وانظر أيضا اللؤلؤ والمرجان، كتاب الفضائل، ابن سعد: الطبقات ج ١ القسم الثاني ص ١٣١.

رسول الله ﷺ سبابا ولا فحاشا ولا لعانا، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة (ماله ترب جيينه) وعن أنس أيضا أنه ، (كان يجيب دعوة العبد) (١).

وعن أنس أيضا أن نفرا من أصحاب رسول الله ، سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر فأخبروهم فقال بعضهم لا أتزوج النساء، وقال بعضهم لا أكل اللحم، وقال بعضهم لا أنام على فراش، وقال بعضهم أصوم ولا أفطر، فحمد النبي ﷺ الله وأثنى عليه ثم قال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ولكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) (٢).

كما أخرج الترمذی فی سننه ، كتاب النكاح، باب ماجاء فی النهی فی التبتل أن النبي ﷺ نهى عن التبتل (٣). وكذلك أخرجه النسائي في باب النهي عن التبتل.

شدة العيش على رسول الله ﷺ وأهله:

فتحت على رسول الله ﷺ آفاق الدنيا، وانهمرت الغنائم على المسلمين بعد الغزوات والفتوحات، إلا أن رسول الله ﷺ ظل هو وأهله يعيشون على التقشف والزهد وضرورات الحياة، فقد روى عن ابن عباس (رضي الله عنه) (أن النبي ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء) قال: (وكان عامة خبزهم الشعير).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن فاطمة عليها السلام جاءت بكسرة خبز إلى النبي ﷺ فقال: (ما هذه الكسرة يا فاطمة) قالت: (قرص

(١) المصدر السابق لابن سعد ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ابن سعد: الطبقات ج ١ القسم الثاني، ص ١٣٤.

(٣) حديث رقم (١٠٨٢).

خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة) فقال: (أما أنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام)^(١).

(وعن عبد الرحمن بن الأسود عن الأسود عن عائشة رضی الله عنها، قالت: ماشبع آل محمد ثلاثاً من خبز بر حتى قبض، ومارفع عن مائدته كسره فضلاً حتى قبض)^(٢).

(وعن أبى هريرة رضی الله عنه قال: كان يمر بآل رسول الله ﷺ هلال، ثم هلال، لا يوقد فى شيء من بيوته نار لا خبز ولا طيبخ قالوا بأى شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة قال بالأسودين التمر والماء، وكان له جيران من الأنصار جزاهم الله خيراً لهم منائح^(٣) يرسلون إليه بشيء من لبن)^(٤).

وعن أبى نضر قال: (سمعت عائشة رضی الله عنها تقول: إني لجالسة مع رسول الله ﷺ فى البيت فأهدى لنا أبو بكر رجل شاه، فإني لأقطعها مع رسول الله ﷺ فى ظلمة البيت فقال قائل أما كان لكم سراج فقالت: لو كان لنا مايسرج به أكلناه)^(٥).

كما روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب قال: (رأيت رسول الله ﷺ يلتوى فى اليوم من الجوع، مايجد من الدقل ما يملأ به بطنه)^(٦).

(١) انظر: طبقات ابن سعد جـ ١ القسم الثانى ص ١٦١، ورواه الترمذى فى سننه كتاب الزهد باب ماجاء فى معيشة النبى ﷺ وأهله حديث رقم (٢٣٦٠).

(٢) المصدر السابق لابن سعد ص ١٦١، ١٦٣. كما رواه الترمذى فى سننه كتاب الزهد باب ماجاء فى معيشة النبى ﷺ وأهله حديث رقم (٢٣٥٨).

(٣) المنائح: منحه اللبن أن يعطيه ناقة أو شاه ينتفع بلبنها ويعيدها.

(٤) المصدر السابق لابن سعد ص ١٦٢ وانظر أيضاً سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب معيشة آل محمد ﷺ الحديثان (٤١٤٤)، (٤١٤٥).

(٥) المصدر السابق لابن سعد ص ١٦٦.

(٦) سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب معيشة آل محمد ﷺ حديث رقم (٤١٤٦). و (الدقل) وهو أرذاً التمر.

وعن أسماء بنت يزيد (أن رسول الله ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند اليهود بوسق من شعير)^(١).

كذلك كان رسول الله ﷺ يصلى فى ثوب واحد يتقى بفضوله حر الأرض وبردها^(٢).

روى عن أبى هريرة (أن سائلا سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة من ثوب واحد، فقال رسول الله ﷺ أو لكلكم ثوبان)^(٣).

أما عن فراش رسول الله ﷺ فقد كان جلدا محشوا ليفا، فعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان ضجاع النبی ﷺ آدم^(٤) محشوا ليفا^(٥).

كما ورد فى البخارى ومسلم عن أبى بردة قال: (أخرجت إلينا عائشة كساء وإزارا غليظا فقالت قبض روح النبی ﷺ فى هاذين)^(٦).

وعن فراشه أيضاً ﷺ روت عمره بنت عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت: (أذن رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب عليه ورسول الله ﷺ راقدا ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير، وقد أثر فى جنبه، وتحت رأسه وسادة من آدم محشوه ليفا وعلى رأسه أهب^(٧) معلقة فيها ريح)^(٨).

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: (دخلت امرأة من الأنصار على، فرأت فراش الرسول ﷺ عباءة مثنية، فانطلقت فبعثت إليه بفراش حشوه صوف، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: ما هذا؟ قلت:

(١) نفس المصدر السابق لابن سعد ص ١٦٩.

(٢) المصدر السابق لابن سعد ص ٢٢٤.

(٣) انظر موطأ مالك كتاب الصلاة باب الرخصة فى الصلاة فى الثوب الواحد.

(٤) الأدم هو الجلد المدبوغ.

(٥) طبقات ابن سعد ج ١ القسم الثانى ص ٢٢٦، سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب ضجاع آل محمد ﷺ حديث رقم (٤١٥١).

(٦) صحيح البخارى: كتاب اللباس، باب الأكسية والخمائل، صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة باب التواضع فى اللباس. والأزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن، انظر المعجم الوسيط.

(٧) أهب: جمع إهاب وهو الجلد غير المدبوغ.

(٨) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٢٧ (القسم الثانى).

يارسول الله فلانة الأنصارية دخلت عليّ فرأت فراشك فذهبت فبعثت بهذا فقال: (رديه) فلم أردّه، وأعجبنى أن يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: «والله ياعائشة لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة»^(١).

نفقة رسول الله ﷺ في بيته:

أما عن نفقة رسول الله ﷺ على نسائه فقد كان ينفق عليهن كل عام عشرين وسقا^(٢) من شعير وثمانين وسقا من تمر. وبذلك نرى إلى أى مدى كانت بساطة الحياة في بيت رسول الله ﷺ. وعندما اتفتحت الدنيا أمام المسلمين وكثرت الغنائم، طالب أزواج الرسول ﷺ منه زيادة النفقة وتظاهرن على ذلك، فما كان منه ﷺ إلا أن هجرهن شهرا كاملا، ثم نزلت آية التخيير بين الدنيا والآخرة فخيرهن ﷺ فاخترن كلهن الله ورسوله، واخترن الحياة الخشنة على متاع الحياة الدنيا الزائل^(٣).

إلا أن رسول الله ﷺ كان يحب الرائحة الزكية، ويحب الطيب، وكان يهدى لنسائه الطيب وأواقى المسك، فقد ذكر ابن سعد في طبقاته^(٤) أن رسول الله ﷺ عندما تزوج أم سلمة قال لها: (إني قد أهديت إلى النجاشي أواقى من مسك وحله واني لا أراه قد مات ولا أرى الهدية التي أهديت إليه إلا سترد إلى فإذا ردت فهي لك) فلما ردت الهدية أعطى لكل امرأة من نسائه أوقية من مسك وأعطى سائر أم سلمة، وأعطاهما الحله.

(١) المصدر السابق لابن سعد ص ٢٢٧، وانظر أيضا الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلاني ج ٥ ص ١٥٠ تصحيح محمد المجذوب، القاهرة، دار التراث، ١٩٨٠.

(٢) الوسق: ستون صاعا، والصاع خمسة أرتال وثلاث: المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ج ٢ ص ١٠٤٤.

(٣) انظر سورة الأحزاب الآيات ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٣، وانظر أيضا صحيح البخارى عند تفسيره لهذه الآيات، كتاب التفسير ج ٦ ص ١٤٦، ص ١٤٧، ط دار الشعب.

(٤) ج ٨ ص ٦٧.

إلا أن منهج رسول الله ﷺ في المعيشة بصفة عامة هو الزهد والتقشف فعندما تظاهرت نساء الرسول ﷺ وطالبن بزيادة النفقة وخيرهن رسول الله ﷺ بين الحياة معه على زهدا وتقشفها، وبين أن يسرحهن سراحا جميلا اخترن الله ورسوله راضيات مرتضيات.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَرُدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرَحَنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُمْ تَرُدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمَحْسَنَاتِ مَنَّكَنَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١).

ويقول الله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقِيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا. وَقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله. إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. وأذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾ (٢).

وبذلك جعل النبي ﷺ من أهل بيته ونسائه وأبنائه مثلا أعلى في ترك

(١) انظر سورة الأحزاب آيات: ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٣.

(٢) وانظر أيضا صحيح البخارى كتاب التفسير ج٦ ص ١٤٦ - ١٤٧ تفسير ابن كثير: ويقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى (وقرن في بيوتكن) أى إلزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة من الحوائج الشرعية كالصلاة فى المسجد بشرط كما قال رسول الله ﷺ (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن ثفلات) أى غير متطيبات. وفى رواية أخرى (وبيوتهن خير لهن) وهذا معناه أن للمرأة الحق فى أن تخرج للصلاة ولكن دون تبرج أو تطيب، انظر أيضا طبقات ابن سعد ج٨ ص ١٢٩ - ١٣١.

الدنيا وراء ظهورهم، وابتغاء وجه الله والدار الآخرة والرفيق الأعلى من الجنة.

صداق رسول الله ﷺ لنسائه:

أما عن صداقه ﷺ لنسائه فلم يتعد اثنتى عشرة أوقية ونصفا وهى تعادل خمسمائة درهم، وكان ﷺ يوصى بعدم المغالة فى المهور، كما ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن مهور أزواج رسول الله ﷺ لم تزد على عشرة أواق^(١).

بيوت رسول الله ﷺ وفراش الزوجية:

وعندما تزوج رسول الله ﷺ من أمهات المؤمنين فى المدينة ابنتى لهن بيوتا بسيطة منخفضة السقوف صغيرة مبنية من الجريد عليه طين وبعضها من الحجارة المصقوفة وسقوفها كلها من الجريد، وعلى أبوابها المسوح من الشعر الأسود^(٢).

وكان فراش الزوجية مع عائشة رضى الله عنها مثلا من آدم حشوه ليف، ليس بينه وبين الأرض سوى الحصى^(٣).

وعندما تزوج من أم سلمة رضى الله عنها كان فراش الزوجية أيضا حشوه ليف، وقدحا، وصحيفة، ومجشة أى الرحاء. وكان فى بيت أم المساكين زينب بنت خزيمة رضى الله عنها والذى دخلت فيه أم سلمة

(١) انظر ابن سعد: الطبقات ج٨ ص ١١٥ - ص ١١٦، البلاذرى: أنساب الأشراف ج١ ص ٤٦٣، النويرى: نهاية الأرب ج٨ ص ٢٠٦، ٢٠٧، صحيح البخارى: كتاب النكاح موطأ مالك: كتاب النكاح باب ما جاء فى الصداق والعجاء، محب الدين الطبرى: السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص ١٥ - ١٦.

(٢) طبقات ابن سعد ج٨ ص ١١٥، ابن كثير البداية والنهاية ج٣ ص ٢٢٠ - ص ٢٢١.

(٣) على برهان الدين: السيرة الحلبية ج٢ ص ١٦١. والأدم كما ذكرنا هو الجلد.

جره بها شيء من شعير وبرمه وسمن. فكان ذلك الطعام هو طعام رسول الله ﷺ وأهله ليلة عرسه^(١).

هكذا كانت بساطة الحياة في بيت النبي ﷺ، إلا أنه ﷺ كان يحب الرائحة الزكية والطهارة ويتطيب ويأمر نساءه بالتطيب، وكان يهدي نساءه الطيب والمسك^(٢).

معاملاته ﷺ مع أزواجه:

أما عن معاملاته ﷺ مع أزواجه فقد كان يضاحكهن، وكُنَّ يراجعنه، وكان يقسم بينهنَّ بالعدل في المبيت والنفقة، وكان يقرع بين نسائه في الخروج للحرب أو للغزوات^(٣). وعندما أسنَّت سوده بنت زمعه رضى الله عنها - وكان ﷺ قد تزوجها وهي كبيرة السن - وأحست أن رسول الله ﷺ سوف يطلقها حتى لا يظلمها، وهبت يومها لعائشة رضى الله عنها، وآثرت أن تعيش في بيت رسول الله ﷺ، وأن تكون من أمهات المؤمنين حتى نهاية عمرها^(٤).

(١) ابن سعد: الطبقات ج٨ ص ٦٤.

(٢) نفس المصدر السابق لابن سعد ص ٦٧.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب القرعة بين النساء إن أراد سفراء، وانظر أيضا صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضى الله عنها.

(٤) لتفصيل ذلك أنظر تفسير ابن كثير عند قوله تعالى في سورة النساء آية ١٢٨ «وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير» فقد ذكر أن هذه الآية نزلت في سودة بنت زمعة وأيضا في امرأة أخرى من الصحابة، وانظر أيضا ترجمة سودة بنت زمعه في طبقات ابن سعد ج٨ ص ٣٥، ص ٣٩، ابن عبد البر: الاستيعاب ج٤ ص ٣١٧ - ٣١٨، ابن الأثير: أسد الغابة مج ٧ ص ١٥٧ - ١٥٨، ابن حجر: الإصابة ج٤ ص ٣٣٠ - ٣٣١، والبخاري: كتاب النكاح، باب كثرة النساء، مسلم، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها وشرح الحديث لابن عباس، وانظر أيضا السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين لحب الدين الطبري ص ١٧.

أما تفضيله ﷺ لعائشة فإن هذا لأنها كانت البكر الوحيدة بين زوجاته كما يرجع للميل القلبي لدى رسول الله ﷺ إلا أن العدل كان الأساس في معاملته لنسائه رضوان الله تعالى عنهن^(١).

وقد جعل محمد ﷺ خيار المسلمين خيارهم لنسائهم، وأمر بمداواة ضعف المرأة ونقصها، كما أمر الرسول ﷺ الرجل أن يتجمل لأمرأته ويترفق في معاملتها، وكان يقسم بينهن في المبيت والإيواء والنفقة، أما المحبة فكان يقول (اللهم قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك) وكانت سيرته مع أزواجه حسن المعاشرة وحسن الخلق... تقول عائشة رضي الله عنها: (كان لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندهن في القسم وقل يوم إلا كان يطوف علينا جميعا حتى يبلغ التي هو في نوبتها فيبيت عندها.. فكان إذا سافر وقدم لم يطرق أهله ليلا وكان ينهي عند ذلك)^(٢).

وقد ذكر البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ كان عنده تسع، وكان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة (يقصد بذلك سوده التي وهبت يومها لعائشة)^(٣).

كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه من السنة إذا تزوج البكر أقام عندها سبعا وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا^(٤).

(١) انظر حديث عائشة رضي الله عنها في هذا العدد في صحيح البخاري: كتاب النكاح باب نكاح الأبكار، وانظر أيضا تفسير ابن كثير عند الآية ٥١ من سورة الأحزاب (والله يعلم ما في قلوبكم) وحديث عائشة هناك فتقول رضي الله عنها (كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: (اللهم هذا فعلى فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) وقد أخرجه أصحاب السنن الأربعة.

(٢) انظر ابن القيم الجوزية: زاد المعاد ج ١١ ص ١٣٥ - ١٣٩.

(٣) كتاب النكاح، باب كثرة النساء، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها ونوبتها لضررتها.

(٤) صحيح البخاري كتاب النكاح، باب إذا تزوج البكر على الثيب.

وعن أنس أيضا قال: (من السنة إذا تزوج الرجل البكر على الثيب أقام عندها سبعا وقسم وإذا تزوج الثيب على البكر أقام عندها ثلاثا ثم قسم. قال أبو قلابة ولو شئت لقلت إن أنسا رفعه إلى النبي ﷺ)^(١).

هذا وقد أفاضت علينا كتب السيرة من فيوضات شمائل النبي ﷺ وكيف كان يعامل أزواجه، فكان دائم الابتسام في وجوهن يزورهن، جميعا في الصباح والمساء، ولم يجعل ﷺ لهيئة النبوة سدا بينه وبين أزواجه فقد كان لينا ضاحكا بساما ولم يفرض على أزواجه شخصية النبي إلا عند الضرورة القصوى. وكان ﷺ يسمح لأزواجه أن يراجعنه حتى قالت امرأة عمر ابن الخطاب (رضى الله عنه) له عندما نهرها عن مراجعته: (عجبا يا ابن الخطاب، ماتريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان) فتعجب عمر من ذلك، وذهب يسأل أزواج رسول الله ﷺ ليتأكد من ذلك، فسأل أم سلمة لقربته منها فردت عليه ردا أخجله لما فيه من التدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه^(٢).

وقد كان لرسول الله ﷺ بيتان أحدهما بمكة حيث عاش شبابه مع أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أكثر من خمسة وعشرين عاما لم يتزوج عليها، رغم أنها تكبره بخمسة عشر عاما، وظلت يجاهد معه في سبيل الله والدعوة للإسلام حتى توفيت رضي الله عنها عائدة من حصار للمسلمين في شعب أبي طالب. وقد أنجبت له خديجة كل أبنائه عدا إبراهيم الذي أنجبه من مارية القبطية.

(١) صحيح البخارى كتاب النكاح، باب إذا تزوج الثيب على البكر.

(٢) انظر تفسير ابن كثير عند الآية الأولى من سورة التحريم، وكذلك صحيح البخارى فى تفسيره عند هذه الآية وحديث ابن عباس ومؤال عمر بن الخطاب عن معاملة ﷺ لنسائه، ومسلم كتاب الطلاق، باب فى الإيلاء.

أما البيت الثانى فكان فى المدينة حيث عاش مع زوجاته الأخريات، ولم ينجب منهن سوى من مارية القبطية.

وقد شهد البيت الأول فى مكة الجهاد منذ بدء الدعوة حتى الهجرة وتعذيب المشركين للمسلمين حتى هاجروا للمدينة. بينما شهد البيت الثانى فى المدينة غزوات رسول الله ﷺ العديدة وإقامة الأمة الإسلامية فى المدينة، وإقامة أسس المجتمع الإسلامى بإيجابياته وسلبياته ليكون نموذجاً مثالياً لهذا المجتمع.

وقد كان محمد ﷺ قدوة لنا فى قيادته لهذا المجتمع، كما كان قدوة أيضاً فى إطار المجتمع الصغير وهو الأسرة، زوجاً وأباً وسيداً. بيته ﷺ فى مكة «مع سيدة نساء العالمين»:

خديجة «أم المؤمنين رضى الله عنها، بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشية:

كانت خديجة رضى الله عنها قبل الإسلام امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم فيه مقابل جزء من المال، وكانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة، وكان رجالات قريش يتمنون الزواج منها بعد أن ترملت من زوجها أبى هاله هند بن النباش من بنى عبد الدار بن قصى، ثم عتيق بن عائذ بن عبد الله بن مخزوم.

إلا أن خديجة رضى الله عنها رأت من رسول الله ﷺ حينما عمل فى تجارتها فى الشام مع غلامها ميسرة من صفات الأمانة والكمال والصدق ما دعاها إلى توقيره وتقديره، فأرسلت إليه تطلب منه الزواج ووافق. وتم الزواج وعاش رسول الله ﷺ مع خديجة منذ كان فى الخامسة والعشرين من عمره وكانت هى فى الأربعين حياة سعيدة أنجب خلالها أبناءه كلهم - عدا إبراهيم من مارية القبطية. وقد ظلت خديجة طيلة

زواجها منه ﷺ نعم الزوجة الصالحة الوفية، فقد أعانته على التحنث في غار حراء قبل نزول الوحي عليه ﷺ فكان يذهب إلى غار حراء شهراً في السنة يتعبد فيه ومعه زاده، يتفرغ فيه لعبادة ربه. فتركته يتفرغ للعبادة وهيأت له ما يعينه عليها وي طرح عن كاهله شواغل الدنيا ومتاعها لما رأت فيه من بشائر النبوة.

ثم كانت أول من آمن به ﷺ وأول من ثبته على ما جاءه من الوحي وذهبت لابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع أهل التوراة والإنجيل فبشّرها بأنه نبي هذه الأمة. فرجعت إليه وبشّرتة، كما اختبرت الوحي بنفسها، فكانت أول من آمن به وصدقه وآزره وظلت تهوّن عليه أمر الناس وتعصّده حتى أنه ﷺ بشّرها (بيت من قصب لاصخب فيه ولانصب)^(١). كما أقرأها السلام من ربها على لسان جبريل عليه السلام فقال لها ﷺ (يا خديجة، هذا جبريل يقرؤك السلام من ربك فقالت خديجة رضى الله عنها (الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام) وبذلك نرى أن خديجة (رضى الله عنها) كانت مع رسول الله ﷺ في جميع مواقفه، وأحاسيسه، وخلجاته، تتحسس طريقه فتمهده له، وتحتويه كالأم الرؤوم والزوج الحنون، فكانت الواحة التي يلوذ بها ويستريح بين ظلالها كلما اعتراه التعب، ويرتشف من مياهاها كلما اشتد به الظمأ.

ثم إن خديجة رضى الله عنها قدمت له كل أموالها وكذلك نفسها فجاهدت معه حتى توفيت بمكة وقد أرهاقها حصار قريش للمسلمين في شعب أبي طالب ثلاث سنين وقد أنفقت مالها كله في سبيل الله وذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكان عمرها يومئذ الخامسة والستين.

(١) أى بيت من لؤلؤ مفرغ لاضواء فيه ولانصب.

وكانت خديجة رضى الله عنها أول من صلى مع رسول الله ﷺ من الرجال والنساء جميعاً، وظلت رضوان الله تعالى عليه وزير صدق له ومستشاره الأمين لذلك كان يكنّ لها حبا كبيراً، وكذلك هى، حتى أنه لم يتزوج عليها طوال حياتها رغم كبر سنّها.

وبعد وفاتها هاجر ﷺ إلى المدينة مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومعه أولادها لما لاقاه من قريش من إيذاء كبير بعد وفاتها هى وعمه أبو طالب.

وقد ظل رسول الله ﷺ يذكرها بالخير بعد وفاتها، وحتى توفى هو ﷺ فقد روى عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: (خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد).

وكان ﷺ يغضب لأى إشارة تبدر من عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تُعبّر فيها عن غيرتها منها لما يكنّه لها دائماً من حب وعرفان وتوقير. فقد روى عن عائشة رضى الله عنها^(١) أنها قالت: (استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال اللهم هالة، قالت فغرت فقلت: ماتذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت فى الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها) فغضب النبى ﷺ ثم قال: (لا والله ما أبدلنى الله خيراً منها، آمنت بى وكفرنى الناس، وصدقتنى وكذبنى الناس، وواستنى فى مالها إذ حرمنى

(١) أخرجه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار، باب تزوج النبى ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل خديجة أم المؤمنين.

الناس ورزقنى منها أولاد إذ حرمنى أولاد النساء) قالت عائشة فقلت فى نفسى لا أذكرها أبدا^(١).

بيته ﷺ فى المدينة «مع سائر أمهات المسلمين» :

أما عن بيته ﷺ فى المدينة فكان له مغزى آخر، حيث تَرمَل رسول الله ﷺ وسلم بعد وفاة خديجة «رضى الله عنها» فتدخلت السماء فى زواجه من نساء أصبحن أمهات للمؤمنين، فكان لزواجه بهن مغزى اجتماعى، أو تشريعى أو دينى أو سياسى، وشاهدن إقامة دولة الإسلام فى المدينة ثم جلسن بعد رسول الله ﷺ للفتيا أو لرواية الحديث واشتركن معه فى غزواته وحروبه أو مشاركته بطريق أو بآخر فى الحياة السياسية أو الاجتماعية وفى معرفة مكانه المرأة فى الإسلام من خلال تتبع منهج زوجاته رضوان

(١) انظر ابن هشام السيرة ج١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣، ص ٢٠٥، ص ٢٠٦، ٣٧٥ - ٣٧٦، ج ٢، ص ٢٥ - ٢٦ ابن سعد: الطبقات ج ٨ ص ٧ - ٨، ص ١٠ - ١١، ص ٣٥، الطبرى: تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٨٠ - ص ٢٨١، ص ٢٩٨ - ٢٩٩، ص ٣٠١، ٣٠٧، ج ٣ ص ١٦٠. البلاذرى: أنساب الأشراف ج ١ ص ٩٧ - ٩٨، ص ٣٩٦، ص ٤٠٥، ص ٤٠٦، مصعب الزبيرى: نسب قريش ج ٧ ص ٢٣٠، ج ٩ ص ٣٣٣، ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص ١٦، جوامع السيرة ص ٣٦ - ٣٧ ابن عبد البر: الاستيعاب ج ٤ ص ٢٧٦ - ٢٧٩، ابن الأثير أسد الغابة مج ٧ ص ٧٨ - ٨٥، الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٣ - ص ١٤، ص ١٧، ص ١٨ ابن حجر: الإصابة ج ٤ ص ٢٧٥، ابن كثير البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٥، تفسير ابن كثير، النويرى: نهاية الأرب ج ١٦ ص ٢٧٩ - ٢٩٩، ج ١٨ ص ١٧٠، ابن الجوزى: فہوم الأثر ص ١٩، محب الدين الطبرى: السمط الثمين فى مناقب امهات المؤمنين القاهرة، دار الحديث ص ٢٧ - ٤٨ ابن القيم الجوزية: زاد المعاد فى هدى خير العباد ج ١١ ص ٨٨، Muir: The life of Mohammed p. 24-25, 105-106.

عائشة عبد الرحمن: بنات النبى ﷺ، ج ١ ص ٤٨ - ٥٩، نساء النبى ﷺ، أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى ج ٦ ص ١٨٦ - ١٨٧، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى ج ١ ص ٩٢ - ١١٣، محمد حسين هيكل حياة محمد ﷺ. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مج ٢. ول. ديوانت: قصة الحضارة مج ٤ ص ٢ ترجمة محمد بدران ص ٢٢ - ٢٩.

الله عليهن في الحياة الدنيا ومنهج رسول الله ﷺ في معاملتهن في كافة المواقف والظروف.

سوده بنت زمعه بن قيس عبد شمس القرشية «رضى الله عنها» :

بدأ رسول الله ﷺ في بناء بيته قبل الهجرة إلى المدينة بزواجه من سوده بنت زمعه وأمها أنصارية من بنى النجار هي الشموس بنت قيس الأنصارية. تزوجت سوده قبل رسول الله ﷺ من ابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس، حيث أسلما بمكة وهاجرا معا إلى أرض الحبشة، ثم عادا إلى مكة حيث توفي زوجها ولم يعقب.

وقد خطبها رسول الله ﷺ مع عائشة أم المؤمنين رضى الله عنهما وكانت عائشة ما زالت في سن الطفولة، فلم يدخل بها، ودخل بسوده قبل الهجرة في رمضان عام ١٠ من النبوة، وكانت خولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون هي التي خطبتهما له.

أما عن سبب زواجه ﷺ بها، فقد كان أهلها على الكفر حينما توفي زوجها، فخشى ﷺ أن يفتنوها في دينها، هاجرت سوده مع بنات رسول الله ﷺ إلى المدينة - عدا زينب التي ظلت مع زوجها - وظلت سوده في بيت النبوة وقد انفردت برسول الله ﷺ ثلاثة أعوام، فلما أسنت خافت أن يفارقها ﷺ فوهبت يومها لعائشة رضى الله عنها.

وقد ذكر أنها نزلت فيها آية من سورة النساء^(١) وهي قوله تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير﴾.

(١) آية ١٢٨ (سورة النساء انظر تفسير ابن كثير عند هذه الآية، وانظر أيضا صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب المرأة تهب يوما من زوجها لضرتها).

وقد توفيت سوده في شوال عام ٥٤ من الهجرة في المدينة في خلافة معاوية وقبل في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه^(١).

عائشة رضى الله عنها، بنت أبى بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو من بنى كعب بن لؤى:

وتكنى أم «عبد الله» وهو ابن أختها أسماء، وأكبر أولاد الزبير بن العوام.

أمها أم رومان بنت عمير بن دهمان من بنى مالك بن كنانة. تزوجها رسول ﷺ بأمر من الله على لسان جبريل عليه السلام حيث قال لها ﷺ: (أريتك فى المنام مرتين أرى أنك فى سرقة من حرير ويقول: هذه امرأتك فاكشف عنها فإذا هى أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه)^(٢).

تزوج رسول الله ﷺ عائشة وهى فى السادسة أو السابعة من عمرها بمكة، ودخل بها بالمدينة بعد الهجرة بثمانية أشهر أو أكثر وهى ابنة تسع سنين، وتوفى عنها وهى فى الثامنة عشرة من عمرها، وتصف عائشة زفافها من رسول الله ﷺ بقولها: (.. فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا، فاجتمع

(١) انظر ابن هشام: السيرة ج٤ ص ٣٢٢، الواقدي: المغازى ج١ ص ١١٨، ج٣ ص ١١٠٦، ص ١١١٥، ابن سعد: الطبقات ج٨ ص ٣٥ - ص ٣٩. البلاذرى: أنساب الأشراف ج١ ص ٤٠٧، ٤٠٩، الطبرى: تاريخ الطبرى ج٢ ص ٤٠٠، ج٣ ص ١٦٢، ابن حزم: جوامع السيرة ص ٢٦، ص ٥٠ - ٥٣، ابن عبد البر: الاستيعاب ج٤ ص ٣١٧، ص ٣١٨، ابن الأثير: أسد الغابة مج ٧ ص ١٥٧، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ١٦٧، ابن الأثير: الكامل ج٢ ص ٤٦، ابن حجر الإصابة ج٤ ص ٣٣٠ - ٣٣١، النويرى: نهاية الأرب ج١٨ ص ١٧٣، محب الدين الطبرى: السمط الثمين ص ١٦١ - ١٦٧، الذهبى الكاشف ج٣ ص ٤٧٣، زينب فواز: الدر المنثور ص ٢٥٢ - ٢٥٣. Muir: The life of.

(٢) أخرجه صحيح البخارى - كتاب مناقب الأنصار - باب تزويج النبى صلى الله عليه وسلم عائشة وقدموها، وانظر أيضا صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة - باب فى فضل عائشة رضى الله عنها، والسمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين لمحّب الدين الطبرى ص ٥٣ - ٥٤.

إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتني أمي وأنا في أرجوحة بين عرقين يرجح بي فأنزلتني ثم وقفت بي عند الباب حتى ذهب بعض نفسي ثم أدخلتني ورسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا فأجلستني في حجره فقالت هؤلاء أهل بيتك فبارك الله فيهم وبارك لهن فيك، ووثب القوم والنساء فخرجوا فبنى رسول الله ﷺ في بيتي مانحرت جزور ولا ذبحت عليّ شاه وأنا يومئذ ابنة تسع سنين حتى أرسل إلينا سعد بن عباد بهجفنه كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ (١).

وقد انتقلت السيدة عائشة رضي الله عنها إلى بيتها الجديد، وهو عبارة عن حجرة من الحجرات التي شيدت حول المسجد من اللبن وسعف النخيل، وكان فراشها من آدم (٢) حشوه ليف وليس بينه وبين الأرض سوى الحصير، وكان بيتها الذي بناه رسول الله ﷺ بجانب المسجد النبوي، وجعل له بابا في المسجد تجاه بيتها.

ونظرا لصغر سنها حين تزوجت فقد تركها رسول الله ﷺ تتمتع فترة بطفولتها واحترم صغر سنها، فكانت تلعب بعرائسها، ولها صاحبات يلعبن معها، يدخلهن رسول الله ﷺ بنفسه لها.

وقد تمتعت عائشة رضي الله عنها بمنزله خاصة عند رسول الله ﷺ لم تتمتع بها امرأة من زوجات رسول الله ﷺ إلا خديجة رضي الله عنها. ونحن نجد مظهر ذلك الحب من خلال حوار رسول الله ﷺ مع عائشة ومن روايات عائشة رضي الله عنها نفسها، ومن روايات أزواج رسول الله ﷺ وصحابته «رضي الله عنهم».

(١) انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) ج ٣ ص ١٦٣، انظر أيضا على برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦١.

(٢) الأدم: هو الجلد.

فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يا عائشة حبك في قلبي كالعروة الوثقى..). وكانت رضى الله عنها تسأله من آن لآخر كيف حال العروة يارسول الله: فيقول لها: إنها على حالها لم تتغير ولم تبدل.

وكانت السيدة عائشة تشعر بهذا الحب، وتعلم مكانتها عند رسول الله ﷺ عليه وسلم فتقول في حديث لها: (ولقد كانت زينب بنت جحش وأم سلمة لهما عنده مكانة وكانتا أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدى) وكانت زوجات رسول الله ﷺ يعلمن بهذه المكانة، لذلك وهبت سوده يومها لعائشة دون سواها^(١).

كذلك كان الناس يتحرون يوم عائشة لإهداء الرسول ﷺ الهدايا يبتغون بها مرضاة رسول الله ﷺ^(٢). وقد حاولت نساؤه أن يجعلن أم سلمة واسطة لدى رسول الله ﷺ في ذلك ليأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان، فأعرض رسول الله ﷺ عنها ثم قال لها: (يأأم سلمة لاتؤذيني في عائشة فإنه والله مانزل على الوحى فى لحاف امرأة منكن غيرها).

وقد كانت لعائشة فضائل عديدة كما ذكرت فى حديثها، بلغت عشر فضائل على نساء النبى ﷺ فقالت رضى الله عنها: ^(٣).

(فضلت على نساء النبى ﷺ بعشر، قيل ماهى ياأم المؤمنين؟ قالت: لم

(١) عن حب النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة وتفصيل ذلك انظر: محب الدين الطبرى: السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين من ص ٥٩ - ص ٦٦. وانظر أيضا حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى ج ١ ص ١٣٧. وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام)، انظر صحيح البخارى كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم باب فضل عائشة رضى الله عنها، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل عائشة رضى الله عنها. كما أخرجه الإمام أنس فى مسنده ٣ / ١٥٦، ٢٦٤.

(٢) انظر صحيح البخارى: كتاب الهبة، باب قبول الهدية، وصحيح مسلم كتاب فضائل عائشة رضى الله عنها وأيضاً اللؤلؤ والمرجان، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٣ - ٤٤، محب: الطبرى السمط الثمين ص ٩ - ٧٠، اسد الغابة لابن الأثير مع ٧ ص ١٩٠.

ينكح بكراً قط غيرى، ولم تنكح امرأة أبواها مهاجران غيرى، وأنزل الله تعالى عز وجل براءتى من السماء، وجاء جبريل بصورتى من السماء فى حريرة، وقال تزوجها فإنها امرأتك، وكان يصلى وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيرى، وكان ينزل عليه الوحي وهو معى ولم ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيرى. وقبض الله نفسه وهو بين سحرى ونحرى، ومات فى الليلة التى يدور على فيها، ودفن فى بيتى).

وكان ﷺ يدللها لوجه لها ولصغر سنها، فقد ورد عنها رضى الله عنها حديث رسول الله قالت: (قال لى رسول الله ﷺ إني لأعلم إذا كنت عنى راضية، وإذا كنت على غضبى) قالت فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم: قالت، قلت: أجل والله يارسول الله ما أهجر إلا اسمك^(١).

إلا أن هذا الإيثار القلبى والنفسى لم يمنع رسول ﷺ أن يقسم بالعدل بين زوجاته، فكان يقسم بينهن بالعدل فى الطواف والمبيت والنفقة، أما ميله القلبى فكان كما قال: (اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما لأملك)^(٢).

ومن أوصى به رسول الله ﷺ أيضاً: (من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى - وفى رواية ولم يعدل بينهما - جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل)^(٣).

(١) انظر البخارى: كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، وانظر أيضاً مسلم، كتاب فضائل الصحابة باب فى فضل عائشة رضى الله عنها.

(٢) انظر تفسير ابن كثير عند قول الله تعالى: «والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليهما حليماً» آية ٥١ من سورة الأحزاب، وحديث عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول هذا فعلى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك) أخرجه أصحاب السنن الأربعة وإسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) انظر ما ذكره الامام محمد عبده عند هذا الموضوع فى كتاب الإسلام والمرأة د. محمد عمارة. وانظر أيضاً: المرأة فى الإسلام «دراسة مقارنة» للمؤلفة ص ٧٤ - ٧٥ ط دار الفكر العربى وأيضاً: المرأة تنظيم الأسرة فى الإسلام للمؤلفة ص ٢٥، ٢٦. ط دار الفكر العربى.

رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ بقوله: (جاء يوم القيامة وشقه ساقط) (١).

كذلك كان رسول الله ﷺ إذا سافر في غزوة من الغزوات أو غيرها يقرع بين نسائه فتسافر من فازت في القرعة وتمكث الباقيات في بيوتهن تخريا للعدل (٢).

ورغم ذلك فقد ظلت عائشة دائمة الغيرة على رسول الله ﷺ بعد زواجه من الأخريات حتى أنها سألته حينما عاد من بيت «أم سلمة» يوم ما قائلة: (ما تشبع من أم سلمة؟ قالت: فتبسم. فقلت: يا رسول الله ألا تخبرني عنك لو أنك نزلت بعدوتين إحداهما لم ترع والأخرى قد رعيت أيهما كنت ترعى؟ قال: التي لم ترع. قلت: فأنا ليس كأحد من نسائك، كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجل غيرك. قالت: فتبسم رسول الله ﷺ).

ولما كانت عائشة رضى الله عنها لم تنجب وأرادت إشباع أمومتها فقد أنزلت ابن اختها أسماء وهو (عبد الله بن الزبير بن العوام) بمنزلة الابن وكانت تكنى به فيقال (أم عبد الله) كذلك ابن أخيها عبد الله واسمه (القاسم).

إلا أن عائشة رضى الله تعالى عنها ابتليت بمحنة الإفك التي أفاضت علينا المصادر والمراجع في ذكرها، حيث خاض المنافقون في ذلك، واتهموها مع صحابى جليل هو صفوان بن المعطل السلمى، وكان رسول الله ﷺ عائدا

(١) أخرجه الترمذى كتاب النكاح باب ما جاء في التسوية بين الضرائر حديث رقم (١١٤) والنسائى كتاب عشرة النساء، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، وابن ماجه كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء حديث رقم (١٩٦٩).

(٢) انظر صحيح البخارى: كتاب النكاح باب القرعة بين النساء، إن أراد سفرا، وانظر أيضا صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل عائشة رضى الله عنها.

من سفره من غزوة بنى المصطلق وذهبت لقضاء حاجتها فانفرط عقد لها، فخرجت تبحث عنه، وقد أمر النبي ﷺ أن تقوم القافلة، فقامت القافلة وهى غير موجودة فى هودجها، فلما عادت إلى مكانهم لم تجدهم فانتظرتهم فى مكانها عسى إن افتقدوها أن يرجعوا إليها. فمر بها صفوان بن المعطل السلمى، وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلم ييت مع الناس فى عسكرهم، فلما رآها وهى متلففة بجلبابها عرفها فحملها على بغيره وانطلق بها مسرعا، حيث أوصلها إلى القافلة فى الصباح. فقال أهل الإلفك ما قالوا فيهما، وانتشرت الشائعة فى القافلة ثم عادوا إلى المدينة.

وما لبثت عائشة أن مرضت وقد وصلت الشائعة إلى رسول الله ﷺ وقال أبويها فلم يذكروا لها شيئا، ولم يؤذها رسول الله ﷺ بكلمة رغم ماسمعه عنها سوى موقفه من مرضها، فقد قالت عائشة عنه ﷺ (.. ألا إنى أنكرت على رسول بعض لطفه بى، كنت إذا اشتكيت رحمنى ولطف بى، فلم يفعل ذلك فى شكواى تلك فأنكرت منه. وكان إذا دخل علىّ وأمى تمرضنى قال: كيف كنتم ولايزيد على ذلك. قالت حتى وجدت فى نفسى مما رأيت من جفائه عنى. فقلت له يا رسول الله لو أذنت لى فانتقلت إلى أمى فمرضتنى. قال: لا عليك، قالت: فانتقلت إلى أمى ولا أعلم بشيء مما كان حتى نقيت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة).

هذا هو كل ما أخذته عائشة «رضى الله عنها» على رسول الله ﷺ وهو رجل طعن فى شرفه، وسمع ماسمع عنها، فلم يتصرف معها بشيء خدش حيائها سوى ما ذكرت.

هكذا كان موقف الزوج العاقل فلم يتهمها أو يسيء إليها دون دليل حاسم. ثم ذكرت عائشة كيف أنها علمت بما يدور حولها من أقاويل، فبكت حتى أحست أن كبدها سيتصدع وشكت لأمرها حزنها.

فلما دخل عليها رسول الله ﷺ وعندها أبواها، وهى تبكى، جلس ﷺ وحمد الله وأثنى عليه ثم قال لها على رواية عائشة: (يا عائشة إنه قد كان مابلغك من قول الناس فاتق الله وإن كنت قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده، فوا الله ماهو إلا أن قال ذلك حتى تقلص دمعى ما أحس منه شيئاً وانتظرت أبوى يجيبا رسول الله ﷺ فلم يتكلما قالت: وأيم الله لأنا أحقر فى نفسى وأصغر شأننا من أن ينزل الله عز وجل فى قرآنا يقرأ به فى المساجد ويعمل به، ولكنى كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى نومة شيئاً يكذب الله به عنى لما يعلم من براءتى أو يخبر خبراً.. فوالله ما برح رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه.. ثم سرى عن رسول الله ﷺ فجلس.. فجعل يمسح العرق من جبينه ويقول: (أبشرى يا عائشة قد أنزل الله براءتك قالت: فقلت بحمد الله وذمكم ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من قرآن فى^(١)) ثم أمر بمسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحمنه بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم) أى أقيم عليهم حد قذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

وقد عقب أستاذنا الجليل عباس محمود العقاد على هذا الحادث وموقف رسول الله ﷺ منه بقوله: (تلك هى القصة التى تعرف بقصة الإفك كما روتها السيدة عائشة رضى الله عنها وهى مسبار صادق يسبر لنا أغوار المروءة والرفق فى معاملة النبى ﷺ لزوجاته، حيث لا رفق ولا مروءة عند الأكثرين.. فلم يكن فى هذه الحالة إلا كرماً خالصاً بما سلك فى أمر نفسه وفى أمر أهله وفى أمر دينه.. فكما أنه شمل بعفوه جميع المسيئين فى هذا الحديث، فإنها أيضاً كشفت عن أطيب معاملة

(١) انظر سورة النور / آية ٢٣ وما بعدها، وانظر أيضاً حديث الإفك فى ابن هشام: السيرة جـ ٣ ص ٣٤١ - ص ٣٥٥، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ٤ ص ١٦٠ - ١٦٤، الطبرى جـ ٢ ص ٦١٠ - ٦١٩.

الزوجات في أخرج الحالات.. فإن عظمة الرجل أتاحت له أن يعطى الدعوة حقها والمرأة حقها^(١). وقد ازدادت مكانة السيدة عائشة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ بعد ما نزل فيها من الآيات البينات، التي شهدت لها بالطهر والتقاء من فوق سبع سموات.

كذلك نزلت في عائشة أيضا الرخصة بالتيمم. عندما أذن الصباح وليس مع المسلمين ماء، وكانوا قد قضوا الليل يبحثون عن قلادة لها حتى وجدوها في الصباح.

وفي السيرة أن الرسول ﷺ عندما خرج غازيا خيبر في جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة - أى بعد عام تقريبا من محنة الإفك - اتخذ رايته الأولى من برد لزوجته عائشة تدعى العقاب. كما ورد عن عمرو بن العاص (أن رسول الله ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل - قال: فأتيته فقلت: يا رسول الله أى الناس أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قلت: ومن الرجال؟ قال أبوها)^(٢).

ورغم ازدياد محبة رسول الله ﷺ لعائشة إلا أنها كانت دائمة الغيرة وكانت تقول له (ومالى ألا يغار مثلى على مثلك).

وعندما مرض رسول الله ﷺ مرض الوفاة استأذن نساءه فى أن يمرض عند عائشة فأذن له أن يكون حيث شاء، فمات فى بيتها. تقول رضى الله عنها (فقبضه الله وإن رأسه لبين نحرى وسحرى)^(٣) بعد أن تسوك بسواك تسوكت هى به.

(١) عبقرية محمد ص ١١٠ - ١١٤.

(٢) انظر: تحفة الأحوذى، أبواب، المناقب، باب فى فضل عائشة رضى الله عنها.

(٣) انظر صحيح البخارى: كتاب المغازى، باب مرض رسول الله ﷺ ووفاته، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل عائشة رضى الله عنها والنحر: هو أعلى الصدر موضع القلادة، والسحر: الرثة وقيل السحر ما لصق بالحلقوم.

هذا وقد أشار أستاذنا الفاضل الإمام محمد عبده إلى أهمية العدل بين الأزواج حتى فى هذه اللحظة فقد ذكر أن النبى ﷺ وأصحابه كانوا لا يأتون حجرة إحدى الزوجات فى نوبه الأخرى إلا بإذنها حتى أن النبى ﷺ كان يطاف به وهو فى حالة المرض على بيوت زوجاته محمولا على الأكتاف حفظا للعدل، ولم يرض الإقامة ببيت إحداهن خاصة، فلما كان عند إحدى نساءه سأل فى أى بيت أكون غدا؟ فعلم نساءه أنه يسأل عن نوبة عائشة فأذن له فى المقام عندها مدة المرض، فقال: (هل رضىتن؟ فقلن: نعم) فلم يقم فى بيت عائشة حتى علم رضاهن. وهذا الواجب الذى حافظ عليه النبى ﷺ هو الذى ينطبق على نصائحه ووصاياه..

فقد كانت آخر وصاياه (الصلاة الصلاة وماملكت يمينكم..) والعدل بين الزوجات^(١).

هذا وقد ظلت عائشة رضى الله عنها بعد رسول الله ﷺ المرجع الأول للسنة والحديث والفقهاء. يأخذ المسلمون عنها نصف دينهم كما أمرهم رسول الله ﷺ، فكانت رضى الله عنها أفقه نساءه على الإطلاق، كما روت عنه ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وكأنما أراد الله تعالى أن تعيش بعد رسول الله ﷺ عمرا مديدا يمتد قرابة خمسين عاما تنثر فيها نفحات النبوة، وتجلس للفتيا لصحابته والتابعين من بعدهم لعلمها الغزير بالأحاديث والسيرة العطرة، والقرآن الكريم وتفسيره. فتركت أعمق الأثر فى الحياة الفقهية وكذلك الحياة السياسية والاجتماعية، كما شاركت فى الفتنة الكبرى التى صنعت التاريخ الإسلامى منذ مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه، وقادت الجيوش مع الزبير بن العوام وطلحة لمحاربة

(١) الاسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده .د. محمد عماره ص١٣٥، طه القاهرة، دار المستقبل ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

على بن أبي طالب عام ٣٦ هـ / ٦٥٦ م، ثم اعادها على رضى الله عنه بعد هزيمتها معهم معززة مكرمة إلى المدينة حيث توفيت ليلة السابع عشر من رمضان عام ثمانية وخمسين من الهجرة ودفنت بالبقيع ليلا وقد ناهزت السادسة والستين من عمرها^(١).

حفصة بنت عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما):

وأما زينب بنت مطعون بن حبيب، وهى شقيقة عبد الله بن عمر ابن

(٢) انظر: ابن هشام السيرة ج٣ ص ٣٤١ - ٣٥٣ (حديث الإفك)، ج٤ ص ٣٢١ - ٣٣٤، ابن سعد: الطبقات ج٨ ص ٣٩ - ٥٦، الواقدي المغازى ج١، ج٢، ج٣، مصعب الزبيري: نسب قريش ج٧ ص ٢٣٧، البلاذرى: أنساب الأشراف ج١ ص ٣٤٢ - ٣٤٣، ص ٤٠٩ - ٤١٠، ص ٤١٥ - ٤١٨، الطبرى: تاريخ الطبرى ج٢ ص ٣٣٩، ص ٦١٠ - ٦١٩، ج٣ ص ١١٩، ص ١٦٢ - ١٦٤، ابن حزم: جوامع السيرة ص ٢٦ - ٢٧، الإحكام فى أصول الأحكام مج ٢ ط بيروت ص ٨٦ - ٩٠، الاصبهاني، أبو نعيم: حليه الأولياء ج٢ ص ٤٣، ابن عبد البر: الاستيعاب ج٤ ص ٣٤٥ - ٣٥٠، ابن القيم: زاد المعاد ص ٨٩، ابن الأثير: أسد الغابة مج ٧ ص ١٨٨ - ١٩٢، الكامل فى التاريخ ج٢ ص ٧٥، ابن حجر: الإصابة ج٤ ص ٣٤٨ - ٣٥٠، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٣ ص ١٥٦، ص ٢٦٤، ابن كثير: البداية والنهاية ج٤ ص ١٦٤، تفسير ابن كثير، الذهبى: الكاشف ج٣ ص ٤٧٦، ابن الجوزى: فہوم الأثر ص ٤٠، صحيح البخارى: كتاب فضائل أصحاب النبى (ص) باب فضل عائشة رضى الله عنها، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل عائشة، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم، محب الدين الطبرى: السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص ٥٠ - ١٢٢، تحفة الأحوذى: أبواب المناقب، باب من فضل عائشة رضى الله عنها الحديث رقم (٣٩٦٧: ١٠ / ٣٧٨ - ٣٧٩)، عباس محمود العقاد: عبقرية محمد ص ١١٠ - ١١٤، أميل درمنغم: حياة محمد ص ٧٧، عائشة عبد الرحمن: نساء النبى ص ٩٧ - ٩٩، محمد جمال القاسمى: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ط بيروت، المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية Muir, Sir William: The life of Mohammed P. 299 - 305 (عن حديث

الإفك) (وعن موقعة الجمل عام ٣٦ هـ / ٦٥٦ م)

انظر: Muir: The Caliphate, P. 240 - 252.

الخطاب. ولدت حفصة قبل بعثة رسول الله ﷺ بالنبوة بخمس سنين، ثم تزوجت من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من مهاجري الحبشة، وهاجرت معه إلى المدينة ثم توفي عنها وهي في الثامنة عشرة من عمرها بعد أن عاد النبي ﷺ من غزوة بدر سنة اثنتين من الهجرة وقيل كان خنيس بدريا قتل عنها يوم أحد سنة ٣ هـ ولم تنجب منه.

فلما تأيمت حفصة، عرض عمر رضي الله عنه على كل من أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان الزواج منها، فلما لم يجد منهما القبول اشتكى إلى رسول الله ﷺ، وكانت رقية ابنة رسول الله ﷺ قد توفيت أيضا فقال له النبي ﷺ (يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة)^(١) فأكرم رسول الله عمر بزواجه من حفصة كما أكرم أبا بكر من قبل بزواجه من عائشة. وكان زواجه ﷺ من حفصة سنة اثنتين، وقيل ثلاث من الهجرة والأول أرجح عند العلماء وأصدقها أربع مائة درهم.

جاءت حفصة إلى بيت رسول الله ﷺ وفي البيت سودة، وعائشة، وقد اتخذت عائشة موقفا من العروس الجديدة إلا أنهما مالبثتا أن اتحدتا أمام الضرائر الجدد، واشتركا في عدة حيل طريفة ضد نسائه الأخريات، خاصة من كنَّ على مستوى مرتفع من الجمال.

فعندما تزوج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش بعد أن عاتبته فيها السماء حتى قالت عائشة في غيرة وغضب له (ما أرى ربك إلا يسارع في هواك). وحتى تصرف رسول الله ﷺ عن المكوث عند زينب الفترات الطويلة التي كان يقضيها هناك، تحايلت مع حفصة وسودة في القول له

(١) يقصد بذلك زواج عثمان بن عفان من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ.

عندما يخرج من عندها بأن رائحة المغاير - وهى ثمرة كريهة الرائحة - وكأنه ﷺ قد أكل منها^(١).

وقد كان ﷺ إذا صلى العصر مر على نسائه فيمكث عند كل واحدة وقتا يسيرا للإيناس وذهاب الوحشة، ولكنه دخل عند زينب بنت جحش فشرب عسلا كان قد أهدى لها من أهلها، وفعل ذلك عدة مرات، فاتفق نساء الرسول على أن تقول كل واحدة منهن إني أجد منك ريح المغاير.. وكان صلى ﷺ يحب الريح الطيب ويكره أن يأكل الطعام الذى يسبب رائحة كريهة، لذلك حرّم على نفسه أكل العسل فنزل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢).

أما الحادث الذى كاد بسببه أن يطلق النبى ﷺ حفصه - أو طلق فيه - فهو أن حفصة وجدت رسول الله ﷺ فى خلوه مع مارية القبطية فى بيتها - أى بيت حفصة - وكانت مارية قد ذهبت إلى رسول الله ﷺ فيه

(١) هذا ما ذكره فضيلة الشيخ د. محمد الطيب النجار فى كتابه دراسات فى السيرة النبوية ص ٣٠٩ وما بعدها إلا أن ابن سعد ذكر فى طبقاته أن حفصة هى التى كانت تقدم العسل بنفسها للنبي ﷺ، بينما ذكرت بعض المراجع الأخرى أن التى كانت تقدم العسل للنبي ﷺ هى أم سلمة. انظر: طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٦ (ترجمة زينب بنت جحش).

(٢) التحريم / آية ١، أشار إلى ذلك د. الطيب النجار فى المصدر السابق ص ٣١٧ (دراسات فى السيرة النبوية) ولكن سياق الآية التالية لها يشير إلى أن التحريم كان بخصوص مارية القبطية (انظر ترجمتها فيما بعد). وقد اختلفت التفسيرات فى ذلك ما بين أن التحريم من أكل العسل أو مارية القبطية - وهو الغالب - إلا أن تفسير ابن كثير فى ذلك عند هذه الآية يرجح رأى القائل بأن التحريم كان فى مارية القبطية عندما وجدته حفصه معها فى بيتها. انظر ما ذكرناه عند هذا الموضوع فى (محمد الزوج) وتفسير ابن كثير عند هذه الآية. كذلك صحيح البخارى عند تفسيره لهذه الآية.

لشأن لها، وكانت حفصة تزور أباهما، فلما رجعت ورأتها في بيتها والستر مسدل مكثت حتى انصرفت مارية فدخلت حفصة على رسول الله ﷺ باكية مقهورة ولم تهدأ حتى حرّمها رسول الله ﷺ على نفسه، وأوصى حفصة بكتمان ما حدث.

إلا أن حفصة أفشت السر لعائشة التي اندفعت تستثير ضرائرها - وكنّ جميعا في غيرة من مارية لحملها من رسول الله ﷺ - فانضممن إلى عائشة. وترفق رسول الله ﷺ بهن ما استطاع، لكنهن تمادين في اللجاج إلى حد الشطط فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن اعتزلهن جميعا في صرامة لم يألّفنها من قبل. ثم شكّون من قلة النفقة والزينة واجتمعن كلهن على الشكوى واشتدّدن فيها حتى وجّه النبي وهمّ بتسريحهن أو تخييرهن بين الصبر على معيشتهم معه أو التسريح. ودخل كل من أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضی الله عنهما على رسول الله ﷺ وكانت نساؤه حوله، وحاولا أن يقوما كل من عائشة، وحفصة ويقولان: تسألن رسول الله ما ليس عنده؟ فقلن والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرا أو تسعة وعشرين يوما.

وسرى الهمس بين المسلمين أن النبي ﷺ طلق زوجاته، وظلت المتظاهرات في بيت النبي حزينات ناديات، وأوى النبي ﷺ إلى خزانة له ذات مشربة يصعد إليها على جزع خشب من جذوع النخل ويجلس غلامه رباح على عتبتهما ما أقام بها ﷺ.

ودخل عمر بن الخطاب عليه الخزانة بعد استئذانه عدة مرات ثم أذن له، وبكى عندما رأى آثار الحصار في جنبه ورأى قبضة من الشعير وأخرى من القرظ بجواره ثم قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء؟ إن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل

وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. فرد عليه النبي ﷺ رَدًّا فهم منه أنه لم يطلقهن ولكنه اعتزلهن شهرا. ففرح بذلك عمر وأعلن في المسجد أن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه.

ثم نزل الوحي على رسول الله ﷺ بالآية الكريمة من سورة الأحزاب بعد اعتزاله نساءه شهرا يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ إِن كُنْتُمْ تَرْضُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ وَأَسْرَحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا. وَإِن كُنْتُمْ تَرْضُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمَحْسَنَاتِ مَنَعًا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١).

ثم خير رسول الله ﷺ نساءه كلهن بين الحياة معه وبين تسريحهن بعد أن تلا عليهن الآية، فأجبن كلهن بتفضيل العيش معه على متاع الحياة الدنيا. ثم عاتبته عائشة قائلة عندما دخل بيتها: (بأبي أنت وأمي يانبي الله، قلت كلمة لم ألق لها بالا فغضبت علي) ثم قالت مداعبة: (أقسمت أن تهجرنا شهرا ولم يمض منه سوى تسع وعشرين) فابتسم رسول الله ﷺ قائلاً - وقد سره أنها كانت تحصى الليالي - بأن شهرها ذاك تسع وعشرون ليلة. وبذلك نجد أن محمد ﷺ الزوج كان ليناً مع أزواجه في مواقف اللين، قويا حاسما في المواقف التي تستوجب القوة والحسم.

هذا وقد كان زواج الرسول ﷺ بحفصة تكريما لعمر حتى أن عمر قال لابنته ذات يوم (والله لقد علمت أن رسول الله لا يحبك ولولا أنا لطلقتك) فقد كرم رسول الله ﷺ بجعل ابنته إحدى أمهات المؤمنين (٢).

ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية من سورة التحريم: (ومما يدل

(١) سورة الأحزاب / آية ٢٨، ٢٩.

(٢) انظر تفسير ابن كثير عند هذه الآية، وكذلك تفسير البخاري عندها في صحيحه.

على أن عائشة وحفصة رضى الله عنهما هما المتظاهرتان، الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن ابن عباس قال: لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى فيهما: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ فذكر عمر بن الخطاب أنهما عائشة وحفصة^(١).

وقد اختلفت الروايات فى حفصة على وجه الخصوص، فقليل إن النبي ﷺ قد طلقها طلاقا واحدة ثم ارجعها، وهذا الأرجاع يختلف فيه الروايات، فتذهب رواية إلى أن ذلك كان رحمة بعمر الذى حثا التراب على رأسه وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها، فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ بأمر الله بأن يرجعها رسول الله ﷺ وفى رواية أخرى أن جبريل قال للرسول ﷺ (ارجع حفصة فإنها صوامة وقوامة وإنها زوجتك فى الجنة).

ورغم أمية رسول الله ﷺ فإنه أمر امرأة من بنى عدى تسمى الشفاء بنت عبد الله أن تعلم حفصة الكتابة، وكذا رقية النملة مما يدل على اتساع أفقه ﷺ وحرصه على تعليم المرأة. وظلت حفصة فى بيت رسول الله ﷺ حتى لحق بالرفيق الأعلى، لانتسب له ماكرهه، فكانت هى التى حفظت النسخة الخطية للقرآن الكريم، وظلت فى مأمن عندها حتى أخذها عثمان بن عفان رضى الله عنه فى خلافته، ونسخ منها النسخ التى وزعت على الأمصار.

توفيت حفصة رضى الله عنها سنة خمس وأربعين، وقيل إحدى وأربعين من الهجرة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وقد ناهزت الستين

(١) انظر تفسير ابن كثير عند صدر سورة التحريم، وأيضا صحيح البخارى عند نفس الآية.

عاما، ودفنت بالمدينة المنورة. وكانت من راويات الحديث عن رسول الله ﷺ وروى عنها، وأحاديثها في كتب السنن الأربعة، كما جلست للفتيا مع أمهات المؤمنين جميعا^(١).

زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية (أم المساكين) رضى الله عنها، :
وقد أطلقت عليها هذه الكنية قبل الإسلام لأنها كانت تطعم المساكين وتتصدق عليهم، وقد ذكر ابن عبد البر أنها أخت ميمونة (أم المؤمنين) لأمها^(٢).

تزوجت زينب من الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ثم طُلِّقت منه، فتزوجها أخوه أبو عبيدة بن الحارث الذى استشهد بأحد (وقيل) كانت متزوجة من عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد. ثم

(١) ابن هشام: السيرة ج٤ ص٣٢٣، الواقدي المغازي ج٢ ص٧٠٨، ص٧٠٩، ص٧١٩، ج٣ ص١٠٩٢، ابن سعد: الطبقات ج٨ ص٥٦ - ٦٠، الطبري: تاريخ الطبري ج٣ ص١٦٤، الأصبهاني، أبو نعيم: حلية الأولياء ج٢ ص٥٠، ص٥١، المنتخب من ذبول الطبري ص٦٠٣، ابن حزم: جوامع السيرة ص٦٨، جمهرة أنساب العرب ص١٥٢، الإحكام فى أصول الأحكام مج٢ ص٨٦ - ٩٠، البلاذري: أنساب الأشراف ج١ ص٢١٤ - ٢١٥، ص٤٢٦ - ٤٢٧، ابن عبد البر: الاستيعاب ج٤ ص٢٦٠ - ٢٦٢، الذهبى: الكاشف ج٣ ص٤٦٨، ابن الأثير: أسد الغابة مج٧ ص٦٦ - ٦٧، ابن حجر: الإصابة ج٤ ص٢٦٤ - ٢٦٥، النويري: نهاية الأرب ج١٨ ص١٧٦ - ١٧٨، ابن قتيبة: المعارف ص١٣٥، ابن الجوزي: تلقيح فهم أهل الأثر ص٢٠ - ٢١، عائشة عبد الرحمن نساء النبى ص٨٦ - ١١٦، محمد الطيب النجار: دراسات فى السيرة النبوية ص٣٠٩ - ٣١٧، عباس محمود العقاد: عبقرية محمد ص١١٦، محب الدين الطبري: السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص١٢٥ - ١٣٠. Muir, Sir William: The life of Mohammed p. 427-428. (عن موقف حفصه ومارية وتظاهر نسائه ﷺ).

(٢) إلا أنه ذكر ذلك (نقلا عن الجرجاني) وقال (ولم أر ذلك لغيره) الاستيعاب ج٤ ص٣٠٦.

تزوجها رسول الله ﷺ وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشأ^(١) وكان ذلك فى رمضان بعد واحد وثلاثين شهرا من الهجرة.

ظلت زينب رضى الله عنها فى بيت النبوة ثمانية أشهر، ثم توفيت فى ربيع الآخر بعد تسعة وثلاثين شهراً من الهجرة، وصلى عليها رسول ﷺ .

ولم يتوف فى حياة رسول الله ﷺ سوى خديجة، وزينب، من أزواجه وفى ريحانة خلاف^(٢).

أم سلمة هند بنت أبى أمية (واسمه) سهيل زاد الركب بن المغيرة المخزومية القرشية رضى الله عنها، .

كان أبوها أحد أجواد قريش ولذا سمي (زاد الركب)، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة الكنانية. تزوجت أم سلمة من أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ابن عمه رسول الله ﷺ بره بنت عبد المطلب، وهو أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة.

هاجرت أم سلمة مع زوجها إلى أرض الحبشة، الهجرتين الأولى والثانية، وأنجبت له هناك: سلمة وعمر ودره وزينب ثم عادوا إلى مكة وهاجروا إلى المدينة. ويقال عنها إنها (أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة)^(٣) وقيل: بل هى ليلى بنت أبى حثمه.

(١) النشى: هو نصف كل شىء. والنشى هو نصف الأوقية ومقداره عشرون درهما. انظر المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ج٢ ص ٩٣٠.

(٢) ابن هشام: السيرة ج٤ ص ٣٢٥، ابن سعد: الطبقات ج٨ ص ٨٢، البلاذرى: أنساب الأشراف ج١ ص ٤٢٩، الطبرى: تاريخ الطبرى ج٣ ص ١٦٧ - ص ١٦٨، المنتخب ص ٥٩٥ - ٥٩٦، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٨٧٣ - ص ٨٧٤، ابن عبد البر: الاستيعاب ج٤ ص ٣٠٥، ابن حجر: الإصابة ج٤ ص ٣٠٩ - ص ٣١٠، النويرى: نهاية الأرب ج١٨ ص ١٧٨، ابن الجوزى: تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٢٢، محب الدين الطبرى: السمط الثمين ص ١٨٥ - ١٨٦،

(٣) الظعينة هى الزوجة، وقد ذكرت أيضا بمعنى الراحلة يرتحل عليها. انظر المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية.

عانت أم سلمة الكثير في هجرتها إلى المدينة، ثم استشهد أبو سلمة في أحد عام ٤ من الهجرة، فلما استشهد تذكرت أم سلمة حديث رسول الله ﷺ وهو (إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم إني عندك احتسب مصيبتى فأجرنى فيها وأبدلنى بها ما هو خير منها) فذكرت الحديث ثم قالت: (من هو خير من أبى سلمه؟). فلما انقضت عدتها خطبها رسول الله ﷺ فقالت لرسوله: (مرحبا برسول الله وبرسوله، أخبر رسول الله انى امرأة غيرى وأنى مصيبة وأنه ليس أحد من أوليائى شاهد). فأرسل إليها رسول ﷺ يقول: (أما قولك إني مصيبة فإن الله سيكفيك وصبيانك وأما قولك أنى غيرى فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهدا ولا غائباً إلا سيرضاني). فقالت: (يا عمر قم فزوج رسول الله) (١).

تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة في شوال من العام الرابع من الهجرة وأصدقها ﷺ (فراشا حشوه ليف، وقدحا، وصحيفة، ومجشة) (٢) وابتنى بها ﷺ في بيت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة، فوجد فيها جره فيها شيء من شعير، وبرمه، وسمن فكان ذلك طعام رسول الله ﷺ وأهله ليلة عرسه.

وقد ذكر أن رسول الله ﷺ قال لها: (لك عندنا قطيفه تلبسينها في الشتاء وتفرشينها في الصيف، ووساده من آدم) (٣) حشوها ليف ورحيان تطحنين بهما، وجرتان في إحداهما ماء وفي الأخرى دقيق، وجفنه تعجنين وتتردين فيها) فقالت رضى الله عنها، (رضيت) فكان ذلك مهرها. فإلى أى مدى كانت بساطة الحياة فى بيوت رسول الله ﷺ.

(١) انظر طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٢.

(٢) المجش: آلة الجش من رعى وغيره والجمع مجاش وجش الحب: جرشه فهو مجشوش.

(٣) الأدم: هو الجلد: انظر المعجم الوسيط ج ١ ص ١٠.

وقد ذكر ابن سعد أن رسول الله ﷺ ظل يزور أم سلمة دون أن يدخل عليها احتراماً لها ولا بنتها زينب بنت أبي سلمة التي كانت ترضعها حتى جاء عمار بن ياسر فذهب بها واسترضعها بقباء فلما علم رسول الله ﷺ بذلك دخل على أم سلمة^(١) وقد كان لأم سلمة رضى الله عنها منزلة ومكانه عند رسول الله ﷺ. وكانت على قدر كبير من الجمال حتى أن عائشة أم المؤمنين كانت تغار منها. فقد روى عن هند بنت الحارث الفراسية قالت: (قال رسول الله ﷺ أن لعائشة منى شعبة ما نزلها منى أحد، فلما تزوج أم سلمة سئل رسول الله ﷺ فقل: يا رسول الله ما فعلت الشعبة؟ فسكت رسول الله ﷺ فعرف أن أم سلمة قد نزلت عنده)^(٢).

وقد كان رسول الله ﷺ يقدرها ويستشيرها، فعندما ذهب ﷺ إلى مكة فى العام السادس من الهجرة، وهو العام الذى صدته فيه قريش والمسلمين عن زيارة المسجد الحرام، وكان ﷺ معتمراً هو والمسلمون. وتم الصلح بين قريش ورسول الله ﷺ على أن يرجع المسلمون إلى المدينة دون أن يعتمروا ثم يعودوا فى العام التالى ويسمح لهم بزيارة الحرم المكى. فأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالنحر والحلق، إلا أن المسلمين لم يحركوا ساكناً ولم يحلوا إحرامهم، وقد أحزنهم أنهم لم يعتمروا. وهنا كان لأم سلمة دور جليل فى هدنة الحديبية لم ينسأ التاريخ لها حيث استمع الرسول ﷺ إلى مشورتها فقالت له: (يا نبى الله أتحب ذلك أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك) فخرج ﷺ وفعل كما قالت، فتبعه المسلمون على ما فعل^(٣) وبذلك كان لأم سلمة من راحة عقلها، وحصافة رأيها ما جعل رسول الله ﷺ يستشيرها فى الأمور

(١) انظر: طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٦٤.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٦٦.

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٧٦، وصحيح البخارى كتاب المغازى.

الجليلة^(١). ثم مالبث أن نزلت سورة الفتح على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين بشرى بما تم فى هذا الصلح.

وقد كانت أم سلمة آخر أزواج رسول الله ﷺ وفاة، فقد ذكر أنها توفيت عام ٥٩ هـ ودفنت بالبقيع ولها من العمر أربع وثمانون سنة بعد أن جلست للفتيا وروت الحديث عنه ﷺ^(٢).

زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن داود بن أسد القرشبة رضى الله عنها:

وأما أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ. كان اسمها بره فسمّاها رسول الله ﷺ زينب. وكانت من المهاجرات إلى

(١) هذا يوضح مدى احترام رسول الله ﷺ للمرأة ورأيها ومشورتها إذا كانت على صواب، كما يوضح إلى أى مدى كان النبى ﷺ يحترم رأى أزواجه ويستشيرهن حتى فى الأمور الجوهرية والهامة فى الدعوى الإسلامية إذا كان لهذا رأى ثقله وصوابه، كذلك فى الأمور السياسية.

(٢) ابن هشام: السيرة ج١ ص ٣٤٩، ج٣ ص ٣٢٢، الواقدي: المغازى ج٣، ابن سعد: الطبقات ج٨ ص ٦٠ - ص ٦٧، مصعب الزبيرى: نسب قريش ج١٠ ص ٣٣٨، الطبرى: تاريخه ج٣ ص ١٦٤، الطبرى المنتخب ص ٦٠٣ - ص ٦٠٤، البلاذرى: انساب الأشراف ج١ ص ٤٢٩ - ص ٤٣٣، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ١٤٣ - ص ١٤٤، الإحكام فى أصول الإحكام ج٢ ص ٨٦ - ص ٩٠، ابن عبد البر: الاستيعاب ج٤ ص ٤٠٥ - ص ٤٠٨، ابن حجر: الاصابة ج٤ ص ٤٠٧ - ٤٠٨، التويرى: نهاية الأرب ج١٨ ص ١٧٩ - ص ١٨٠، الذهبي: تاريخ الاسلام ج١ ص ١٠٧، وما بعدها، ص ١٨٥ - ١٨٦، ج٢ ص ٤١٣ - ٤١٤، الكاشف ج٣ ص ٤٨٣، ابن الجوزى: فهوم الأثر، زينب فواز: الدر المنثور ص ٥٣١ - ٥٣٢، عائشة عبد الرحمن: نساء النبى ص ١٢٩ - ص ١٣٩، محب الدين الطبرى: السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص ١٣١ - ص ١٤٧، صحيح البخارى: كتاب النكاح، باب إذا تزوج الثيب على البكر، وباب إذا تزوج البكر على الثيب، كتاب المغازى.

المدينة. تزوج رسول الله ﷺ زينب فى السنة الخامسة من الهجرة وكانت قبله متزوجة من زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول ﷺ ولم تنجب منه.

وفىها أنزل الله تعالى بعضا من آياته فى كتابه العزيز. فقد نزلت فيها آية:

﴿واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه. فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً. وكان أمر الله مفعولاً﴾ (١).

وقد كان النبى ﷺ قد خطبها لزيد بن حارثة حينما بعثت زينب إليه أختها حمته بنت جحش تسأله وتستشيريه فى عدد من رجال قريش تقدموا لخطبة زينب فقال نبى الله ﷺ (أين هى ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبىها) قالت: ومن هو يارسول الله؟ قال (زيد بن حارثة) فغضبت حمته غضبا شديدا وقالت لرسول الله ﷺ: (يارسول الله أتزوج ابنة عمك مولاك؟) وتقص زينب ذلك ثم تعقب بقولها: (وجاءتنى فأعلمتنى فغضبت أشد من غضبها فقلت أشد من قولها) فأنزل الله عز وجل: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا﴾ (٢).

(١) انظر آية ٣٧ من سورة الأحزاب، والآيات التى تليها وانظر تفسير ابن كثير عندها.
(٢) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب انظر أيضا تفسير ابن كثير عند هذه الآية وأيضا تفسير البخارى عند هذه الآية.

فلما تم زواجها منه تعالت عليه، فشكاها لرسول الله ﷺ لسوء خلقها معه وتعاليلها عليه، فكان يأمره بأن يتمسك بها ويتق الله. وقد فسرت الآية التالية بالآتي: ﴿واذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ قيل بالإسلام ﴿وأنعمت عليه﴾ قيل بالعتق ﴿أمسك عليك زوجك﴾ ثم أنه لما طلقها تزوجها رسول الله ﷺ بأمر من الله تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ (١).

وكان الهدف من هذا الزواج هو إبطال التبنّي الذي كان سائداً في الجاهلية وكان محرماً تبعاً لذلك زواج الأب، زوجة الابن بالتبنّي من بعده. فأراد الله تعالى أن يجعل زينب تطبيقاً عملياً لمبدأ من مبادئ الإسلام، وهو هدم ما كان عليه العرب في الجاهلية (٢). فتزوجها رسول الله ﷺ وأولم عليها بشاه وكان عمرها حينئذ خمسة وثلاثين عاماً وأصدقها أربعمئة درهم. فتزوجها الله تعالى لرسول الله ﷺ وبعث جبريل سفيراً لهذا الزواج، فكانت تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول: (أنا أكرمكم ولياً وأكرمكم سفيراً).

وقد كانت وليمة العرس حافلة فقد ذبح رسول الله ﷺ شاة وأمر مولاه أنس بن مالك أن يدعو الناس إلى وليمة فترادفوا أفواجا حتى قال أنس: يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه.. فقال ﷺ (ارفعوا طعامكم).

وللمرة الثانية تدخل الوحي في الحياة الزوجية لرسول الله ﷺ وزينب رضي الله عنها وذلك نتيجة لبقاء بعض المدعوين في جلستهم (ثلاثة نفر) إلى أن طاف رسول الله ﷺ على نسائه وظل عند عائشة حتى أبلغه أنس

(١) انظر أيضاً تفسير ابن كثير عند هذه الآية وما تليها.

(٢) يقول الله تعالى في سورة الأحزاب آية ٤٠ ﴿ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾ وبذلك نهى الله تعالى بعد هذا (زيد بن محمد) فقد ولد له ﷺ القاسم والطيب والظاهر من خديجة، وإبراهيم من مارية القبطية، إلا أنه لم يعيش له ولد ذكر فكان رسول الله ﷺ قد تبناه. انظر تفسير ابن كثير عند هذه الآية.

بخرجهم، فأتجه ﷺ إلى حجرة زينب فنزلت آية الحجاب الخاصة بنساء رسول الله ﷺ.

قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه. ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق. وإذا سألتهم عن متاعا فسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا تتكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما ﴾ (١).

ومنذ ذلك الحين فرض الحجاب على نساء النبي ﷺ وعلى المؤمنات جميعا رمز تصون وعزة وترفع عن الابتذال (٢).

وقد كانت لزینب مكانة كبيرة عند رسول الله ﷺ كما ذكرت عائشة في حديثها عنها (.. ولقد كانت زينب بنت جحش وأم سلمة لهما عنده مكان، وكانت أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدى) ثم تؤثر زينب وحدها بخصوصيتها فتقول: (لم تكن واحدة من نساء النبي تناصبني غير زينب) وفي قصة المغافير (العسل) ما يدل على هذه الغيرة (٣).

إلا أنه كان لزینب موقف طيب مع عائشة في حديث الإفك، فقد دافعت عنها مما أثلج صدر عائشة معها حتى قالت: (.. أما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما حمته بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني بدينها لأختها فشقت بذلك) (٤).

(١) انظر سورة الأحزاب / آية ٥٣ وتفسيرها ابن كثير والبخارى في صحيحه.

(٢) انظر أيضا سورة النور / آية ٣١.

(٣) انظر القصة في ترجمة حفصة رضى الله عنها.

(٤) عن حديث الإفك انظر ترجمة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها.

وقد كانت زينب صالحة تقية صادقة التدين حتى شهدت لها عائشة بذلك قائلة: (ولم أر امرأة قط خيرا فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد اتزاناً لنفسها فى العمل الذى يتصدق به ويتقرب به إلى الله عن وجل).

كما وصفها رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب بقوله: (إن زينب بنت جحش أواكه أى: خاشعة متضرعة.. كذلك كانت تتصدق على المساكين مائتصعه بيدها وتحسنه. ويروى أن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أرسل إليها عطاءها بعد وفاة رسول الله ﷺ فتصدقت به على ذوى قرابتها وأيتامها ثم قالت: (اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بن الخطاب بعد هذا).

وقد اشتهرت بكثرة الصدقات حتى لقد ذكر أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: (أسرعن لحوقا بى أطولكن يدا) فكانت أول من لحق به بعد وفاته لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق.

توفيت زينب بالمدينة عام عشرين من الهجرة بعد أن روت عن رسول الله ﷺ الأحاديث (١).

(١) انظر: ابن هشام: السيرة ج٣ ص ٨١، ج٤ ص ٣٣ - ص ٣٧، ص ٣٢٢، الواقدي: المغازي ج٢ ص ٤٣٠، ج٣ ص ٩٢٦، ص ١١١٥، ابن سعد: الطبقات ج٨ ص ٧١ - ٧٦، البلاذري: أنساب الأشراف ج١ ص ٤٣٣ - ٤٣٨، الطبري: تاريخ الطبري ج٤ ص ٥٦٢ - ص ٥٦٤، ج٣ ص ١٦٥، المنتخب ص ٦٠٧، الأصبهاني، أبى نعيم: حلية الأولياء ج٢ ص ٥١ - ٥٤، ابن عبد البر: الاستيعاب ج٤ ص ٣٠٦، ابن الأثير: أسد الغابة مج ٧ ص ١٢٥، ابن حجر الإصابة ج٤ ص ٣٠٧ - ٣٠٨، ابن قتيبة: المعارف ص ١٣٥ - ١٣٦، النويري: نهاية الأرب ج١٧ ص ١٨٠ - ١٨٢، الذهبي: الكاشف ج٣ ص ٤٧١، ابن كثير: البداية والنهاية ج٤ ص ١٤٦ - ١٤٧، ابن القيم: زاد المعاد ص ٩٣، محب الدين الطبري: السمط الثمين ص ١٧١ - ١٨١، محمد الطيب النجار: السيرة النبوية ص ٣١١ - ٣١٢، عائشة عبد الرحمن: نساء النبي ﷺ ص ١٢٩ - ١٥٦، Muir: The life of Mohammed p.290-293.

جويرية بنت الحارث المصطلقية «رضى الله عنها»:

تزوجها رسول ﷺ بعد أن غزا غزوة المريسيع سنة خمس أو ست من الهجرة، وكانت ضمن سبي بنى المصطلق وابنة سيدهم، ف وقعت في سهم ثابت ابن قيس ابن شماس وأنت رسول الله ﷺ تستعينه على كتابتها*، فقال لها ﷺ (هل أدلك على خير من ذلك. قالت: وما هو؟ قال: أقض عنك كتابك وأتزوجك فقالت: نعم. فتزوجها) وكان اسمها برة فسمها ﷺ جويرية.

تقول عائشة عن جويرية (كانت امرأة حلوة ملاحه لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فوالله ما هو إلا أن رأيته فكرهت دخولها على النبي ﷺ وعرفت أنه سيري منها مثل الذي رأيته).

وقالت عائشة: (خرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث. فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم) قالت: (فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها)^(١).

وقد أسلم أبوها بعد أن رأى من علامات نبوة الرسول ﷺ ما رأى، وكان قد قدم لفداء ابنته، فأخذ النبي منه الفداء وأعطاه ابنته ثم خطبها منه وتزوجها وأصدقها أربع مائة درهم. وقيل إنها كانت ملك يمينه ثم أعتقها وتزوجها. وكانت في العشرين من عمرها. وكان رسول الله ﷺ يقسم لها كنسائه وفرض عليها الحجاب.

توفيت جويرية عام خمسين من الهجرة في خلافة معاوية وقيل سنة

* الكتابة: أن يعاتب الرجل عبده على ما يؤديه، فإن أذاه صار حراً. وسميت كتابة، بمصدر كتبت لأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه، ويكتب لمولاه له عليه حق العتق فإذا سعى وأداه أعتق. أنظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (كتب).

(١) انظر: الطبري: تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦١٠، ويقول ابن كثير في تفسيره للآية ٥٠ من سورة الأحزاب أن قوله تعالى في نساء رسول اله ﷺ ﴿مما أفاء الله عليك﴾ أن جويرية كانت مما أفاء الله عليه فأعتقها وتزوجها، كذلك كانت صفية بنت حيى في خير).

٥٦هـ، وقد رويت الحديث عن رسول الله ﷺ، وجلست للفتيا أيضا مع أمهات المؤمنين اللائي جلسن لها رضى الله عنها وعنهم^(١).

أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب

بن أمية القرشية الأموية (رضى الله عنها)

وأما صفية بنت أبى العاص بن عبد شمس، عمة عثمان بن عفان. ولدت أم حبيبة قبل البعثة بسبعة عشر عاما، وتزوجت من عبيد الله بن جحش ابن عمة رسول الله ﷺ، وأنجبت له حبيبة التي كُتبت بها.

أسلمت أم حبيبة وهاجرت مع زوجها إلى أرض الحبشة مع ابنتهما ومن هاجر معهم من المسلمين. إلا أن عبيد الله تنصر بالحبشة وتوفى مرتدا هناك. ولكنها تمسكت بدينها وصبرت عليه وظلت بالحبشة حتى خطبها رسول الله ﷺ من النجاشي، فأصدقها النجاشي أربعمئة دينار ذهباً، وكان ذلك سنة ست (وقيل) سبع من الهجرة^(٢) ثم أقيم حفل الزواج الذى أقامه النجاشي وحضره المسلمون بالحبشة حيث أعطى الصداق لخالد ابن سعيد بن العاص وكيل الزوجة بالحبشة، ثم دعاها النجاشي إلى الطعام قائلاً (احبسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج) فأكلوا ثم تفرقوا.

(١) ابن هشام: السيرة: ج٣ ص ٣٣٩، ص ٣٤٠، الطبرى: تاريخه ج٢ ص ٦١٠، ج٣ ص ١٦٥، المنتخب من ذيل الطبرى ص ٦٠٩ - ص ٦١٠، ابن عبد البر: الاستيعاب ج٤ ص ٢٥١ - ٢٥٤، ابن الأثير: أسد الغابة مج ٥ ص ٥٦ - ص ٥٨، البلاذرى: أنساب الأشراف ج١ ص ٤٤١ - ٤٤٢، ابن حزم: جوامع السيرة ج٤ ص ١٦١، الإحكام فى أصول الأحكام مج ٢ ص ٨٦ - ٩٠، ابن حجر: الإصابة ج٤ ص ٢٥٧، النويرى: نهاية الأرب ج١٨ ص ١٨٢ - ١٨٣، ابن الجوزى: فہوم الأثر ص ٢٢، ص ٣٧٠ - ص ٣٧١، الذهبى: الكاشف ج٣ ص ٤٦٧، محب الدين: السمط الثمين ص ١٩٧ - ٢٠٠.

Muir: the life of Mohammed p. 295 - 298.

(٢) ذكر ذلك ابن الجوزى.

عادت أم حبيبة سنة سبع من الهجرة إلى المدينة وكان عمرها بضعة وثلاثين سنة. وبعث النجاشي معها شرحبيل بن حسنة ومعها هدايا العطر حيث أمر النجاشي نساءه بإهدائها إياها.

وعندما دخلت أم حبيبة المدينة نحر عثمان بن عفان الذبائح وأطعم الناس وليمة حافلة. وهنا يذكر العقاد أن النبي ﷺ كان يهدف بهذا الزواج مقصدا جليلا وهو أن يوصل بينه وبين أبي سفيان بأصرة النسب عسى أن يهديه ذلك إلى الدين بما يعطف من قلبه ويرضى كبرياءه^(١).

كما ذكر ابن سعد في رواية عن ابن عباس تفسيراً لقوله تعالى: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾^(٢).

قال: حين تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان. ولما علم أبو سفيان بزواج رسول الله ﷺ من ابنته قال: (ذلك الفعل لا يجده أنفه)^(٣) وكان أبو سفيان لا يزال على شركه يحارب رسول الله ﷺ. ثم لجأ إلى ابنته أم حبيبة - وذلك قبل فتح مكة - لتقوم بالوساطة لدى رسول الله ﷺ ليمد أجل الهدنة عشر سنين، وذلك بعد أن نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ (عهد الحديبية). فلما دخل بيته في المدينة وذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوت الفراش دونه فقال لها: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عنى أم بى قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك: فقال: لقد أصابك بعدى شر. ورفضت أم حبيبة الوساطة لقريش عند رسول الله ﷺ. فلما ذهب إلى رسول الله ﷺ لم يجبه إلى طلبه، فاضطر إلى العودة إلى مكة بعد أن رفض كل من أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وفاطمة الزهراء رضی الله عنهم إجابته إلى غرضه.

(١) عبقرية محمد ص ١٢١.

(٢) الممتحنة الآية ٧، وانظر طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٠.

(٣) والجدع في اللغة هو القطع البائن سواء للأنف أو لغيرها وهو كتابة عن عدم إمكان هزيمته ﷺ. والتجاذع هو التخاصم .. ويقال أجدعهم بالأمر حتى يذلوا. عن «جدع»: انظر: لسان العرب لابن منظور مادة «جدع».

ثم قامت أم حبيبة (رضى الله عنها) بمناصرة زوجها ودعت له بالنصر على أعدائه بعد أن أنصفها بزواجه منها وبعد أن امتحنها الله في إيمانها أثناء هجرتها إلى الحبشة.

وعندما تأهب رسول الله ﷺ والمسلمون معه لفتح مكة وقدموا عليها، قابله أبو سفيان بن حرب، وأعلن إسلامه وأكرمه رسول الله ﷺ فأعلن أنه (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابيه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن) فابتهجت أم المؤمنين أم حبيبة بتكريم زوجها رسول الله ﷺ لأبيها، وبعد وفاة رسول الله ﷺ جلست أم حبيبة للفتيا ورواية الحديث عنه ﷺ حتى توفيت بالمدينة عام ٤٤هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان^(١).

صفية بنت حيى بن أخطب النضرية (رضى الله عنها) :

كانت أمها برّة بنت سموأل القرظية أخوة النضير. تزوجت صفية من سلام بن مشكم القرظى ثم فارقها، فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضرى، فقتل عنها يوم خيبر. وقد تزوجها رسول الله ﷺ بعد فتح خيبر فى العام السادس من الهجرة، وكانت ضمن السبى مع ابنة عم لها، فوهبها النبى ﷺ لدحيه الكلبي ثم اشتراها منه عندما ذكر له أنها سيدة قريظة والنضير وقيل له (ما تصلح إلا لك يا رسول الله).

(١) ابن هشام: السيرة جـ ٣ ص ٤١٨، الواقدي المغازى جـ ٢ ص ٧٤٢ - ص ٧٩٢، ابن سعد الطبقات جـ ٨ ص ٦٨ - ص ٧١، الطبرى: تاريخه جـ ٣ ص ١٦٥، المنتخب: ص ٦٠٦، مصعب الزبيرى: نسب قريش جـ ٤ ص ١٢٢ - ص ١٢٤، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ ٤ ص ٢٩٦ - ص ٢٩٩، ص ٤٢١ - ص ٤٣٣، ابن حزم: جوامع السيرة ص ١٢٨ - ص ١٧٨، الإحكام فى أصول الأحكام مج ٢ ص ٨٦ - ٩٠، ابن الأثير: أسد الغابة مج ٧ ص ١١٥ - ص ١١٧، ص ٣١٥ - ص ٣١٦، ابن حجر: الإصابة جـ ٤ ص ٢٩٩ - ص ٣٠٠، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ ١ ص ٤٣٨ - ٤٤١، الذهبى: الكاشف جـ ٣ ص ٤٧١، ابن الجوزى: تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٢١ - ص ٢٢، ص ٣٦٥، محب الدين الطبرى: السمط الثمين ص ١٥١ - ١٥٨، عباس محمود العقاد: عبقرية محمد ص ١٢١، عائشة عبد الرحمن: نساء النبى ص ١٨٤ - ١٩٤.

وقد ذكر ابن هشام في السيرة أن بلالاً قد مر بها على قتلى يهود مع ابنة عم لها فلام رسول الله بلال قائلاً له: (يا بلال أنزع منك الرحمة حتى تمر بامرأتين على قتلاهما؟) (١).

فلما تزوجها رسول الله ﷺ أسلمت، وفرض عليها الحجاب وأولم عليها بوليمة من تمر وسويق وقسم لها كنسائه فكانت إحدى أمهات المؤمنين. وكان عمرها حين تزوجها في السابعة عشرة من عمرها، وكانت ذات عقل راجح وحلم وجمال، وكان قد خيرها بين عتقها وتسريحها وبين الإسلام وزواجه بها، فاختارت الإسلام وحسن إسلامها.

وعند (تبار) على بعد ستة أميال من خير أراد رسول الله ﷺ أن يعرس بها فأبت، فلما وصلوا (الصهباء) وهي أبعد من خير من الأولى أعرس بها رسول الله ﷺ. فلما سألها: (ما حملك على الذي صنعت حين أردت أن أنزل المنزل الأول فأدخل بك؟) فقالت: خشيت عليك قرب يهود، فزادها ذلك مكانة عند رسول الله ﷺ. وفي الصباح أولم وليمة.

وقد كان لأمهات المؤمنين من صفية مواقف عديدة منذ أعلن أن رسول الله ﷺ سوف يتزوجها، وكان لمحمد الزوج رد لكل موقف، دافع فيه عن صفية لما رآه من حلمها ورجاحة عقلها، كما كان ﷺ رفيقاً بأزواجه. من ذلك ما ذكره ابن سعد في رواية عن عطاء بن يسار أنه لما قدم رسول الله ﷺ من خير ومعه صفية أنزلها في بيت من بيوت حارثة بن النعمان، فسمع بها نساء من الأنصار وبجمالها فجنن ينظرن إليها، وجاءت عائشة متنقبة حتى دخلت عليها فعرفها، فلما خرجت خرج رسول الله ﷺ على أثرها: فقال: كيف رأيته يا عائشة؟ قالت: رأيت يهودية. قال: لانتقولي هذا يا عائشة فإنها قد أسلمت فحسن إسلامها).

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٣٦، انظر أيضا ابن الأثير: أسد الغابة مج ٧ ص ١٦٩ - ص ١٧٠، الطبري ج ٣ ص ١٣ - ١٤.

هذا وقد كان نساء رسول الله ﷺ يتفاخرن بأنهن خير منها فهن بنات عم النبي وأزواجه (عائشة وحفصة) فقال لها النبي ﷺ حين شكت له ذلك: (ألا قلت لهن كيف تكن خيرا منى وأبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد).

كما كان لنساء النبي ومنهن زينب بنت جحش مواقف مع صفية، إلا أنها كانت معهن حليلة عاقلة. فقد ورد حديث عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان فى سفر ومعه زينب بنت جحش وصفية قالت عائشة: (فاعتل^(١) بعير صفية وفى إبل زينب فضل فقال لها: أن بعير صفية اعتل فلو أعطيتها بعيرا؟) أجابت فى ترفع أنا أعطى تلك اليهودية؟ فتولى رسول الله ﷺ مغضبا وتركها شهرين أو ثلاثة أشهر لايمسها ثم عاد إلى ماكان عليه معها. ولم تحرم صفية من حماية رسول الله ﷺ لها حتى آخر أيامه، فقد روى أن أمهات المؤمنين اجتمعن حول فراش رسول الله ﷺ فى مرضه الأخير، فقالت صفية: (إنى والله يابى الله لوددت أن الذى بك بى، فتبادلت الأخباريات نظرات ذات معنى. فقال لهن رسول الله ﷺ (مضمضن) فتساءلهن: من أى شىء؟ فأجاب ﷺ من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة).

وقد ظلت صفية بلباقتها وحلمها تهادن عائشة ومعها حفصة وسودة وكن يشككن جانبا فى بيت رسول الله ﷺ. كذلك هادنت بقية الزوجات ومعهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ اللائى مثلن الجانب الآخر.

وبعد وفاة رسول الله ﷺ شاركت صفية فى المعركة السياسية التى قامت فى عهد عثمان بن عفان، فكانت موالية لعثمان بن عفان وكانت تنقل الطعام والماء إليه على معبر خشب من منزلها إلى منزله فى محنة الحصار.

(١) اعتل: أى مرض.

ثم جلست للفتيا ورواية الحديث بعد وفاة رسول الله ﷺ وتوفيت عام خمسين أو اثنتين وخمسين من الهجرة^(١).

ميمونة بنت الحارث الهلالية من قيس عيلان بن مضر رضى الله عنها:

وأما هند بنت عوف زهير بن الحارث الجرشية (أكرم عجوز في الأرض أصهارا) حيث أنجبت بناتا أصهرت بهن رسول الله ﷺ، وأبى بكر الصديق، وعلى بن أبى طالب وحمزه بن عبد المطلب، والعباس بن عبد المطلب، وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم.

كانت ميمونة قبل زواجها من رسول الله ﷺ متزوجة من عمير بن عمر الثقفى فى الجاهلية، ففارقها، ثم تزوجت من أبى رهم بن عبد العزى من بنى عامر بن لؤى، فتوفى عنها، فتزوجها رسول الله ﷺ عام ٧هـ بعد عمره القضية «بسرف» على عشرة أميال من مكة بعد أن تحلل من احرامه وأصدقها أربعمائة (وقيل: خمسمائة) درهم. وكانت ميمونة آخر امرأة تزوجها رسول ﷺ وكان وليها العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ:

(١) ابن هشام: السيرة جـ ٢ ص ٣٣٦، جـ ٤ ص ٣٢٤، المغازى للواقدي جـ ١ ص ٣٧٤، جـ ٢ ص ٦١٨، جـ ٣ ص ٦٦٩، جـ ٤ ص ٦٧٣، جـ ٥ ص ٦٧٤، من ص ٧٠٤ - ص ٧٠٩، جـ ٣ ص ١١١٤، ابن سعد: الطبقات جـ ٨ ص ٨٥ - ٩٢، الطبرى: تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ١٦٥ - ص ١٦٦، ابن حزم: جوامع السيرة ص ١٦٧، الإحكام فى أصول الأحكام مج ٢ ص ٨٦ - ص ٩٠، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ ٤ ص ٣٣٧ - ٣٣٩، ابن الأثير: أسد الغابة مج ٧ ص ١٦٩ - ص ١٧١، ابن حجر: الإصابة ج ٤ ص ٣٣٧ - ٣٣٩، الذهبى، الكاشف جـ ٣ ص ٤٧٤، النويرى: نهاية الأرب جـ ١٨ ص ٨٦ - ١٨٨، ابن القيم: زاد المعاد ص ٩٧، محب الدين الطبرى: السمط الثمين ص ٢٠٣ - ٢٠٩، عائشة عبد الرحمن: نساء النبى ص ١٦٧ - ١٧٦.

Muir, William: The life of Mohammed p.337.

انظر أيضا قصة الحضارة لول ديورانت مج ٤ جـ ٢ ص ٣٩ (عن زواج رسول الله ﷺ بصفية رضى الله عنها).

وكان اسمها (بره) فسمّاها رسول الله ﷺ (ميمونة) بمناسبة المناسبة الغراء الميمونة التي دخل فيها أم القرى لأول مرة منذ سبعة سنين ومعه المسلمون آمنون لا يخافون، ثم عاد إلى المدينة.

وقد ذكر ابن هشام زواجها من رسول الله ﷺ بقوله: (ويقال إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وذلك أن خطبة النبي ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ورسوله، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ (١).

وقد اختلفت فيمن وهبت نفسها للنبي ﷺ.

هذا وقد اشتركت ميمونة (رضى الله عنها) مع نساء النبي في الحملّة التي أدت إلى المغاضبة والهجر، إلا أن مؤروخي الإسلام لم يذكروا لها أى خصومة انفردت بها، بل رضيت بشرف زواجها من النبي ﷺ. ولما اشتدّ المرض على رسول الله ﷺ في مرض وفاته، رضيت أن ينتقل، حيث أحب إلى بيت عائشة الذي توفي فيه.

وقد شهدت لها عائشة بالتقوى فقالت: (أما أنها كانت والله أتقانا وأوصلنا للرحم). توفيت ميمونة رضى الله عنها بسرف عام ستين من الهجرة، وقيل ثلاث وستين من الهجرة في خلافة زيد بن معاوية، عن عمر

(١) سورة الأحزاب/ آية ٥٠. وهنا يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية (ويحل لك أيها النبي المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك). وقد كن اللاتي وهبن أنفسهن للنبي كثير، إلا أنه ذكر في رواية عن ابن عباس: (لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له. أى أنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له، وإن كان ذلك مباحا له ومخصوصا لأنه مردود إلى مشيئته ولا تحل لغيره إلا إذا إعطاها مهرا). انظر تفسير ابن كثير عند هذه الآية.

يناهز الثمانين، فكانت آخر أزواج رسول الله ﷺ وفاة، بعد أن روت الحديث وجلست للفتيا كأزواجه ﷺ^(١).

سريتاً رسول الله ﷺ :

مارية بنت شمعون القبطية (أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ «رضى الله عنها» :

كانت مارية (رضى الله عنها) قد أهداها المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ سنة سبع من الهجرة عندما أرسل إليه رسول الله ﷺ (حاطب بن أبى بلتعة) برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام. فأعظم المقوقس كتاب رسول الله ﷺ وقال :

(لولا الملك، يعنى ملك الروم، لأسلمت) وأهدى لرسول الله ﷺ (مارية) القبطية وأختها (شيرين) وشيخ كبير يدعى (مابور) كان أخاً لمارية. فأهدى رسول الله ﷺ شيرين إلى حسان بن ثابت واحتفظ بمارية، وكانت قد أسلمت هى وأختها فى طريقهم إلى المدينة على يد حاطب بن أبى بلتعة.

كانت مارية بيضاء جميلة، ويقال إن أمها كانت رومية، وقد أنزلها ﷺ

(١) ابن هشام: السيرة جـ ٣ ص ٤٢٦، جـ ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ (وقد ذكر فى جـ ٤ الاختلاف فيمن وهبت نفسها للنبي ﷺ). الواقدي: المغازى جـ ٢ ص ٧٣٨ - ص ٧٤٠، ص ٨٢٩، ص ٨٦٦، ٨٦٨، جـ ٣ ص ١١٠١، ابن سعد: الطبقات جـ ٨ ص ٩٤ - ص ١٠٠، الطبرى: تاريخه جـ ٣ ص ١٦٦، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ ٤ ص ٣٩١ - ص ٣٩٥، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٢٧٤، الإحكام فى أصول الأحكام مج ٢ ص ٨٦ - ص ٩٠، جوامع السيرة ص ٢٩٠، ابن حجر: الإصابة جـ ٤ ص ٣٩٧ - ص ٣٩٩، ابن الأثير: أسد الغابة مج ٧ ص ٢٧٢ - ص ٢٧٤، ابن قتيبة: المعارف ص ١٣٧، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ٤ ص ٢٣٣، الذهبي: الكاشف جـ ٣ ص ٤٨٢، النوبرى: نهاية الأرب جـ ١٨ ص ١٨٨، عائشة عبد الرحمن: نساء النبي ص ٢١٢ - ص ٢١٣، ابن الجوزى: فهوم الأثر ص ٢٣ - ص ٢٤، ص ٣٦٥، محب الدين الطبرى: السمط الثمين ص ١٨٩ - ص ١٩٣.

مكانا يسمى (العالية في المال الذي يقال له مشربة أم إبراهيم) وضرب عليها الحجاب وتسرى بها.

حملت مارية من رسول الله ﷺ ووضعت له إبراهيم، وفرح رسول الله ﷺ بمولده وتصدق بوزن شعره فضة في اليوم السابع لمولده وسماه ثم أعطاه أم سيف ترضعه.

استعرت غيرة أزواج رسول الله ﷺ بحبه لابنه إبراهيم وأمه مارية وقد حرمن جميعا من الولد منه حتى أنه حرّمها يوما على نفسه إرضاء لحفصة فنزل قوله تعالى: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ (١).

وكان قد خلا بها يوما في بيت حفصة، فثارت حفصة لذلك، فحاول النبي ﷺ إرضاءها بتحريمها عليه، إلا أن الله ردّها عليه وكفر يمينه (٢).

كما ذكر ابن سعد في رواية عن أنس بن مالك أن البعض حاول اتهام مارية زورا في خصي قبطي كان يأتيها بالماء، فبرأها الله تعالى بقدوم جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ بقوله: (السلام عليك يا أبا إبراهيم) كما عرف ﷺ أنه محبوب (٣) وبإحجاب مارية لإبراهيم اعتقت فأعتقها ولدها، وأصبحت سنة عن النبي ﷺ. ثم مالبت أن توفي إبراهيم ولم يستكمل عامه الثاني سنة عشر من الهجرة ودفن بالبقيع.

وقد نهى رسول الله ﷺ مارية وأختها عن الصياح عند وفاته ثم غسله الفضل بن عباس ودفن.

(١) سورة التحريم: آية ٢.

(٢) انظر تفصيل ذلك في ترجمة حفصة بنت عمر بن الخطاب وانظر ما ذكرناه هناك ورأى ابن كثير في تفسيره صدر سورة التحريم: آية ١ كذلك ماورد في صحيح البخارى في تفسيره هذه الآية.

(٣) انظر: طبقات بن سعد ج ٨ ص ١٥٤ - ١٥٥.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: (لو عاش إبراهيم لأعتقت أحواله ولو وضعت الجزية عن كل قبطن).

توفيت مارية القبطية رضى الله عنها فى المحرم عام ١٦ من الهجرة، وكان عمر بن الخطاب قد أوصى بجميع الناس لشهود جنازتها ودفنت بالقيع.

وقد أوصى رسول الله ﷺ بأهل مصر قائلا: (الله الله فى أهل الذمة أهل المدرة السوداء السحم الجعاد، فإن لهم نسبا وصهرا) فنسبهم أن أم اسماعيل النبى ﷺ منهم، وصهرهم أن الرسول ﷺ تسرى منهم...^(١).
ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة النضرية «وقيل، القرظية» رضى الله عنها،:

اصطفاه رسول الله ﷺ من سبى قريظة، وكانت متزوجة من رجل من قريظة اسمه الحكم، فسباه رسول الله ﷺ ثم أعتقها وتزوجها وأصدقها ثم فرض عليها الحجاب، وذلك فى العام السادس من الهجرة.

إلا أن هناك روايات ذكرت أن النبى ﷺ خيرها بين اليهودية والإسلام، فاختارت الإسلام بعد أن ظلت على اليهودية فترة من الوقت، كذلك خيرها بين أن تكون ضمن أزواجه أو تظل ملك يمينه، فاختارت أن تكون ملك يمينه قائلة له إن ذلك أخفّ عليها وعليه، إلا أنها فرضت الحجاب

(١) طبقات ابن سعد ج٨ ص ١٥٣ - ص ١٥٦، ابن هشام: السيرة ج١ ص ٢٠٦، ج٢ ص ٣٥٢، الواقدي المغازى ج١ ص ٣٧٨، البلاذرى: أنساب الأشراف ج١ ص ٤٤٨ - ٤٤٩، ابن عبد البر: الاستيعاب ج٤ ص ٣٩٦ - ص ٣٩٨، ابن الأثير: أسد الغابة مج ٧ ص ٢٦١، ج١ ص ٤٩ - ص ٥١ ترجمة إبراهيم بن رسول الله ﷺ، ابن حجر: الإصابة ج٤ ص ٣٩١، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ١٥ - ١٦، النويرى: نهاية الأرب ج١٨ ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

على نفسها، حتى على أهلها، ذكر ذلك الواقدي. ومن ذلك يتبين لنا كيف كان رسول الله ﷺ يطلق لأزواجه حرية الديانة، كذلك حرية اختيار زواجهن منه أو البقاء ملك يمينه، ولكل منها التزاماتها. وهذا يدل على تفهم نبي الرحمة العظيم لمدى حرية المرأة وكذلك مشاعرها.

توفيت ریحانة قبل وفاة رسول الله ﷺ سنة عشر من الهجرة بعد رجوعها من حجة الوداع مع النبي ﷺ، ودفنت بالبقيع. وقد ذكر ابن الجوزي أنها روت الحديث عن رسول الله ﷺ^(١).

وبذلك نرى مدى مثالية رسول الله ﷺ في معاملاته مع أزواجه حتى في أخرج المواقف. كان رسول الله ﷺ مثالا للتواضع والبساطة والرحمة والقوة والحزم والشجاعة في آن واحد. فكان القائد في الحرب، والزوج الحنون المثالي في بيته، يساعد أزواجه، ويعين خدمه وعبيده، ويدلل أطفاله وأحفاده ويعلمهم القيم والمبادئ الإسلامية في كلمات موجزة. وعندما يؤدب زوجه يؤدب في صمت وترفع دون أن يكون سبابا أو لعانا أو قاسيا، بل كان كما روت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها جمع مكارم الأخلاق، وكان خلقه القرآن، كان عادلا في بيته في كل موقف اقتضى العدل، في القسم بين الأزواج، في النفقة والإقامة، حتى في اصطحابهن إلى الغزوات، إلا أنه كان يحترم المرأة، كل امرأة تعامل معها احتراماً كبيراً، فترك للمرأة حرية الرأي، وحرية العقيدة، وحرية الاختيار. وحتى

(١) ابن هشام: السيرة جـ ٢ ص ٢٦٤، الواقدي: المغازي جـ ٢ ص ٥٢٠ - ٥٢١، ابن سعد: الطبقات جـ ٨ ص ٩٢ - ٩٤، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ ٤ ص ٣٠٢ - ٣٠٣، ابن الأثير: أسد الغابة مج ٧ ص ١٢٠ - ١٢١، ابن حجر: الإصابة جـ ٤ ص ٣٠٢ - ٣٠٣، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ٥ ص ٣٢٨، النويري: نهاية الأرب جـ ١٨ ص ١٨٤، ابن الجوزي: تلقيح فهم الأثر ص ٣٧٠ - ٣٧١،

Muir: The life of Mohammed P. 319-320.

عندما ابتلى في زوجته عائشة بمحنة الإفك، صمت حتى يتبين له الحق من عند الله، ولم يعامل زوجته معاملة المتهمة أو يحكم عليها بالإثم، رغم أن كل القرائن قد تدلنها، إلا أنه ظل وفيا صادقاً معها رقيقاً في معاملاته حتى برأتها السماء، كذلك موقفه من مارية حينما اتهمت زوراً في خصي لها.

أما عن موقفه ﷺ من أزواجه حينما تظاهرن ضد مارية ثم، تطور الأمر إلى زيادة النفقة حاول معهن أن يهدىء من ثورتهن، دون أن يتناول على أحد منهن.

وعندما أراد أبو بكر الصديق تقويم عائشة بالقوة، وكذلك عمر بن الخطاب تقويم حفصة بالعنف، طالبهما رسول الله ﷺ بالتزام الهدوء واعتزلهما مع باقى النساء لمدة شهر، فكان ذلك كافياً لتأديبهن جميعاً بأخلاقه السامية وحكمته ورزاقته حتى نزلت آيات التخيير، فخير كل واحدة منهن، بدءاً بعائشة رضى الله عنها بين الحياة معه بما فيها من تقشف وصبر وزهد والتي لن يحيد عنها أبداً، ومتاع الحياة الدنيا والتسريح بإحسان فقال لعائشة: (إني ذاكر لك أمراً فلا عليك ألا تعجلى حتى تستأمرى أبويك) فردت عليه عائشة رضى الله عنها (أفى هذا أستأمر أبوى؟ فإننى أريد الله ورسوله والدار الآخرة) ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رضى الله عنها^(١).

وإذا كان رسول الله ﷺ قد أعطى لعائشة رضى الله عنها قدراً ضئيلاً من التمييز بين نسائه، فذلك لأنها البكر الوحيدة، كما كانت صغيرة السن فكان يدللها تعويضاً لها عن أشياء كثيرة، فكان هذا أيضاً عدلاً منه.

(١) انظر تفسير ابن كثير: عند آية ٢٨، من سورة الأحزاب وأيضاً ما ذكرناه في صدر هذا الفصل.

ثم أنزل الله تعالى قوله تعالى: ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا ﴾ (١).

ويقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: (هذه الآيات نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ على حسن صنيعهن، في اختياريهن الله ورسوله والدار الآخرة، لما خيرهن رسول الله ﷺ كما تقدم، فلما اخترن الله ورسوله، كان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن، وحرّم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج، لتكون المنّة لرسول الله ﷺ عليهن).

ويستطرد ابن كثير فيقول:

(روى عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت: مامات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء) (٢).

(وروى عن أم سلمة رضی الله عنها أنها قالت: «لم يمت رسول الله » حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم، وذلك لقوله تعالى: ﴿ ترجى من تشاء منهن ﴾ (٣).

فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة، كآيتي عدّة الوفاة في البقرة، الأولى ناسخة للتي بعدها والله أعلم.

(١) آية ٥٢ سورة الأحزاب.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي.

(٣) آية ٥١ من الأحزاب.

(٤) انظر تفسير ابن كثير عند هذه الآيات من سورة الأحزاب ٥١، ٥٢. وأيضا تفسير ابن جرير الطبري.

وقال آخرون: (بل معنى الآية: ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾ أى من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللائى أحللنا لك من نسائك اللائى آتيت أجورهن وماملكت يمينك، وبنات العم والعمات، والخال والخالات، والواهبه وماسوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك..). ثم أضاف ابن كثير (واختار ابن جرير رحمه الله الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء وفى النساء اللواتى فى عصمته وكن تسعا، وهذا الذى قاله جيد..).